٦٤

# مجلة روايات أحلام



# مجلة روايات أحلام

## النجمة والصياد

«أريد كل شيء... أريدك أنت.. إذا كان ما أرى في أعماقك ناراً لا سراباً... أريد أن أسير إليها لأحترق...».

حرست ريا قلبها مدة طويلة، وحبست مشاعرها وذكريات ماضيها التعس داخل نفق معتم رمادي، كان يهاجمها في كوابيس لا تجد فيها منفذاً إلى النور... ولكن إصرار باول مايسون على استكشاف أعماقها أوصلها الى شفير الهاوية...

باول مايسون رجل لن يردعه شيء عن استنزاف كل ما فيها في سبيل الحصول على ما يريد.. ولو لم يبق منها إلا الرماد...



| لبنان ٢٠٠٠ ل.ل. | الإمارات ٦ د. | مصر ٤ ج | ليبيا |
| --- | --- | --- | --- |
| سوريا ٥٠ ل.س. | قطر ٦٠٠ ر. | المغرب ١٥ د. | اليمن |
| الأردن ١ د. | البحرين ٦٠٠ ف. | تونس ١,٥ د. | السودان |

# ١ ـ نفق لا ينتهي

استند رينيه إلى الجدار قرب ريا يراقبها ويداه في جيبي سرواله واهتمامه منصب عليها.

ـ هل أنت على ما يرام؟.

لم ترد ريا بل هزت رأسها مطأطئة الرأس، لا بد أن رينيه قلق فهو يقلق دائماً قبل أن تبدأ لأنه يعرف نعم المعرفة ما تشعر به. كانت راحتا يديها تنضحان عرقا وفمها جافاً والسقم يتحرك في أعماقها.

رأت هذا في منامها ليلة أمس، كان عقلها يهيئها لهذه اللحظة ولكن ما من شيء قد يهيئها لما تشعر به حقاً ووقفت في الممر، تصغي إلى الهدير البعيد تنتظر التقديم...

كانت فعلاً تحس بالغثيان، فجفونها متقلصة وعضلاتها جميعها مشدودة... والخوف من المسرح إحساس لا ينفك يسيطر عليها كلما ارتقت الخشبة ولكن الليلة كانت أسوأ مما عرفت من قبل.

نظر إليها رينيه نظرة ماكرة:

ـ ألست على ما يرام؟.

كان وجهها شاحباً حتى الابيضاض فتساءلت عن إذا كان سيأتي ذلك اليوم الذي تتخلص فيه من هذا الرعب. كانت عيناها الخضراوان متسعتين والبؤبؤان الأسودان جاحظين وشفتها العليا

مبتلة بقطرات من العرق.

ربت رينيه على وجنتها:

ـ استرخي... سيكون كل شيء على ما يرام.

تلاشى التصفيق قليلاً فسمعا قرقعة المذياع فوق رأسيهما.. ثم بدأت الموسيقى.

ـ ها قد بدأ دورك.

لكنها لم تتحرك، فقد تشنج جسدها وسجنه الرعب. بدا لها أن زمناً طويلاً قد مر ولكنها لم تكن سوى لحظات استطاعت بعدها أن ترفع رأسها، وكان أن تولى أمرها الطيار الآلي القابع في عقلها المتوقف عن العمل.

وخطت الخطوة الأولى متأرجحة فإذا الممر أمامها ممتد إلى ما لا نهاية.

وكان هذا ما رأته في منامها.. فقد سمعت أصوات آتية من البعيد وتناهت إليها موجات من الهتاف والتصفيق راحت تتكسر على شاطىء تفكيرها، والفراغ في قاعة المسرح الضخمة يسبح أمامها عند نهاية النفق الذي يردد أصداء الهتافات والتصفيق. مع كل هذا، كان لا يزال ينتابها الشعور بأنها في النهاية لن تصل أبداً ولن تستطيع السير إلى هناك إلى نهاية النفق.. تجمدت في مكانها دون حراك وانكمش جسدها النحيل على نفسه خوفاً... وصرخة ذعر تخرج منكسرة من صدرها.

مع أنها كانت تحس بملاحقة رينيه لخطواتها، وبنظراته المركزة دائماً عليها، إلا أنها تجاهلته، وركزت تفكيرها على ما يجب أن تفعله. كانت نظرتها نظرة من لا يجرؤ على النظر يمنة أو يسرى، بل من يستمر في التقدم فقط، لأن ليس أمامه خيار آخر.

وظلت تسير فاقتربت الأنوار وتعالى الضجيج حتى خرجت مندفعة نحو هدير حناجر المرحبين بها، فترنح جسدها متهادياً برشاقة فوق المسرح.

ـ مرحبا... جميعاً!.

وقفت أمام المذياع، وذراعاها ممدودتان وكأنهما تعانقان الجميع مع العلم أنها لم تكن ترى أي وجه من وجوه ذلك الجمهور الكبير، لكنها تحس بهم يمدون لها أذرعتهم مصفقين فكان أن اجتاحتها موجات من المشاعر عادت ولتنعكس منها إلى الجمع: إلى أحبائها المتطلبين المجهولين الذين لن تلتقي بهم أبداً.

وبدأت الأوركسترا تعزف إحدى أشهر أغنياتها، وتجاوب الحضور بفرح حين بدأت ريا بالغناء... كان لصوتها في المقاطع الأولى رجفة خفيفة، ثم تحررت من ذعرها وتحرك النشاط والحيوية كالزئبق في شرايينها... وبدأت تعطي بكل ما أوتيت من قوة وأحست بتجاوبهم وتمتعهم بما تعطي فابتسمت، ورفعت رأسها تحييهم فبدا ناراً ذهبية تلمع تحت الأضواء. كانت الأوركسترا منزوية في الظل لئلا تجذب اهتمام الجمهور عنها.. وكان الكورس يتغنى معها أمام صف من الميكروفونات التي رصفت إلى جانب المسرح... كان هذا المكان طوال النهار مفعماً بالنشاط.. فقد عمل النجارون، والكهربائيون ومهندسو الصوت، منذ الصباح الباكر حتى قبيل دخول الجمهور إلى المسرح.

لقد أنجزوا عملهم والآن جاء دورها... ورفع الحب القائم في ما بينها وبين الوجوه المجهولة من روحها المعنوية إلى أن حان

وقت الاستراحة الأولى.

بدا الجمهور من حيث كانت تقف جداراً أسود. كان دوي استحسانهم يرتفع حتى الذروة كلما أنهت أغنية لتبدأ بأخرى وعليها أن تغني لهذا الحشد الكبير من الناس عارضة نفسها أمامه جسدياً تقريباً.. كانت بشرتها الناعمة تلمع تحت الأضواء وفستانها الملتصق بجسمها كجلد ثانٍ لها يبرز جو الاثارة المحيطة بها.

كان رينيه ينتظر وراء الكواليس عند نزولها عن خشبة المسرح بارقة العينين متوترة الجسم بفعل الاثارة، فلف ذراعه حولها وسار معها حتى غرفة الملابس حيث ستبدل ثوبها للوصلة التالية.

كانت أندي تنتظرها في غرفة الملابس فنظرت إليها عبر المرآة تبتسم.

- تبدين رهيبة!

- أنت تبعثين الهدوء إلى القلب!

أحست ريا بسحاب الفستان يرتفع إلى فوق وكانت أصابع أندي رشيقة جداً رغم اصابتها بالتهاب في المفاصل وبرشح ما زالت آثاره بادية عليها بعد الشتاء القارس.. وكانت ريا تسمع لهاثها الثقيل.

فابتسمت لها عبر المرآة.

- ما رأيك بما يجري؟

بدا على أندي الرضا الصريح!

- إنهم يأكلونك.. والآن لا تبدئي بالتحليق في سمائك متى أصبحت فوق المسرح، وإلا لن تخرجي من هناك قبل انتهاء آخر أغنية لك.



- أيتها الشاكية دائماً!

بعدما نودي باسمها بواسطة المذياع الداخلي قبلت وجنتي أندي ثم خرجت.

لقد أمضت أندي معها حتى الآن سنتين بنتا خلالهما علاقة طيبة فلقد اعتادتا على بعضهما. فأندي عملت مساعدة للنجمات طوال حياتها العملية وراقبتهن يأتين ويذهبن، وقد أخذت عهداً على نفسها الا تتأثر لأي شخص كان. كانت تقوم بعملها ثم تعود إلى منزلها الريفي الصغير حيث زوجها وقطتيها السياميتين، تاركة وراءها كل ما يحمله عملها من اثارة وتعب... ولطالما كانت أندي واقعية وبمثابة مرساة وناقوس انذار لريا حين يهددها طعم النجاح بأن يجرفها في تياره.

ولقد أتى رينيه بأندي بعد أن تعرضت ريا لعدة مضايقات من المعجبين عندما حاولوا أن يقتحموا باب بيتها ويتسللوا داخل غرفة ملابسها وهكذا التصقت بها طوال النهار كحارس أما في الأمسيات فهناك رينيه وزوجته جولي طبعاً وهذا يعني أن ريا لا تبقى وحدها أبداً.

لكن ريا، كانت في بعض الأحيان تثور على هذا.. كما كانت تشعر بالحاجة للوحدة.. لذلك، كانت عادة تتنكر واضعة نظارة سوداء كبيرة لتخرج وحدها بسيارتها البورش الحمراء التي كانت تنهب المسافات نهباً لأن السرعة كانت تعطيها ذات الأحاسيس والانفعالات التي تشعر بها عندما تكون على خشبة المسرح لتغني.

نظر رينيه إلى ثوبها الأسود بمزيج من القبول واللاقبول:

- على كل حال إنه بالتأكيد سيبدو شاعرياً.

- يجب أن يكون كذلك، لقد كلف ثروة.

- أعرف فأنا من سدد الشيك.

برز جسدها من تحت فستانها اللماع الضيق وهو فستان مؤلف من قطعتين حريريتين عند الصدر ومن جزء آخر طويل ضيق.

فقال لها رينيه:

- لا تسرعي وإلا انشق الثوب.

فابتسمت له:

- سيحب الجمهور هذا!

- ربما.. ولكن تذكري كم كلفك الفستان.

- ملاحظة سخيفة!

تركته ثم عادت إلى المسرح حيث كان المعجبون في الصالة يصيحون مطالبين بها.. إنها لم تقدم من قبل حفلة غنائية كهذه.. ولعل ما تراه من تشجيع يرسل افرازات منشطة إلى جسمها.

لم يكن المال والشهرة أو الدعاية ما يهمها، بل هم هؤلاء الناس في الخارج.. فلكي تأتي الأغنية مفعمة بالعاطفة والقوة على المغني أن يؤمن بالموسيقى ويحس بها.. هي لا تريد أن تنسى أن هذا الحب المزدوج هو ما أوصلها إلى القمة.. ولكن لا تريد أن يستحوذ عليها الغرور الداخلي الذي أصاب العديد من الفنانين غيرها.. وسيبقى ما يحصل عليه الجمهور هو ما ينبع من داخل الفنان.

إن أكثر ما يهمها، هو قدرتها على تحريك الجمهور، وجذب انتباههم التام الذي يقودهم إليه صوتها الذي يدق على أوتار مشاعرهم، فيه تؤثر فيهم إلى درجة أن يبكوا لبكائها ويفرحوا



لفرحها ولكنها تعلم أنها ستفقد قدرتها إذا ما توقفت.

كان رينيه يذرع كواليس المسرح قلقاً عندما تقدمت إليه والعرق ينضح منها والشحوب بارزاً عليها والرجفة تلفها لفاً.

قبل وجنتيها ثم قال:

- كنت رائعة يا صغيرتي.. كنت رائعة!

عانقته وهي تكاد لا تراه بسبب قطرات العرق التي تتسلل من جبينها إلى عينيها.. وكان أن سرى خط رفيع من الكحل من زاوية عينيها فبدت أشبه بمهرج حزين. رمت الروب عنها وهرعت ثانية إلى المسرح تحيي الجمهور الذي بادرها بموجة أخرى من التصفيق، فقبلت يديها ووزعت القبلات إلى الهواء ثم استدارت لتحيي الفرقة الموسيقية والكورس.

حين عادت قال لها رينيه بحزم:

«هذا يكفي».

ثم صحبها إلى غرفتها حيث جلست أمام المرآة تنظر إلى نفسها ضاحكة:

- ألا أبدو بشعة! ليتهم يرونني الآن..

دفع رينيه كوب ماء إلى يدها:

- اشربي هذا واصمتي! لقد غنيت بما فيه الكفاية.

فتحت أندي سحاب الفستان الذي ما إن هوى إلى الأرض حتى وضعت على كتفي ريا روب حمام ثم التقطت الفستان بلطف وعلقته. احتست ريا كوب الماء وذهبت لتستحم..

كان رينيه يرافق كل خطواتها حتى أنها التفتت أخيراً وقالت:

«هل سترافقني إلى الحمام أيضاً..؟».

رد صوت عن الباب:

- قد يفعل ذلك لو أعطيته نصف فرصة.

التفتت ريا مبتسمة: «مرحباً جولي».

جولي امرأة نحيلة أنيقة.. في عينيها الزرقاوين شيء من السخرية. شعرها موشح بالفضة مسرح بشكل جميل... إنها ورينيه متزوجان منذ خمس عشرة سنة وهما على علاقة وطيدة. جولي كثيرة المزاح مع أن بعض الناس ما كانوا يرونها مرحة ولكنها تنظر إلى الأمور خاصة تلك المتعلقة برينيه بمنظار ساخر. إن ريا تعرفها جيداً فقد عاشت معها في منزل واحد أشهراً طويلة بحيث أصبحت تعرف أن جولي تحب زوجها، سخرت منه أم لم تسخر.

قالت جولي لريا:

- لم أسمعك تغنين كما غنيت اليوم.. كان حماسك ملتهباً حتى ظننت أن الأنوار في المسرح ستنفجر.

- شكراً لك.

ودخلت ريا إلى الغرفة الصغيرة المريحة ثم أقفلت الباب وراءها. وراحت تستحم ببطء ممهلة نفسها ما شاءت من وقت فقد شعرت بأن الماء يغسل رائحة العرق الكريهة، كانت تشعر بأنها أفعى تخلع عنها جلدها. حين خرجت من الحمام يتقطر منها الماء، لفتها أندي بمنشفة بيضاء، أما رينيه فكان يجلس على كرسي ووجهه إلى الحائط وكذلك كان حال جولي التي وقفت قربه مستندة إلى الجدار نفسه، فقالت ريا لها:

- تبدين جميلة جداً.

فتمتمت جولي:

- ومن سيلاحظ هذا؟.



رد رينيه:

- أنا سألاحظ.

فابتسمت وقبلته قبلة ملؤها الحنان والمحبة، ثم سألت أندي:

- هل ستأتين إلى الحفلة؟

- لا.. فلدي أمور أفضل أمضي فيها وقتي.

ساعدت ريا في ارتداء ثيابها وهي تقول:

- لو فكرت بتعقل قليلاً لأويت إلى فراشك يا ريا.

- أنت تعلمين بأنه يلزمها ساعات طويلة لكي تعود إلى الأرض ثانية بعد كل حفلة.

فوافقت ريا على كلام رينيه وأعقبت قائلة: أجل أحس وكأنني بالون يطير ويحلق في الأعالي.

التفتت إلى أندي قائلة:

- وأنت هيا.. تعالي إلى حفلتي أيتها العجوز المتجهمة!.

- ابتعدي عني.

دفعتها بلطف عنها وقالت:

- اجلسي إلى المرآة لأرى ما أستطيع فعله بوجهك أريد العودة إلى منزلي لأجل القطط.

قال رينيه مازحاً:

- ليس إلى زوجها، أتلاحظان؟.

- زوجي ينام باكراً.. العاشرة عادة.

فضحكت:

- لو كنت أنا زوجك، لفعلت الشيء نفسه.

فصاحت به:

- كفَّ عن تلويث الجدار بقدميك.

تحت أصابع أندي البارعة السريعة، راقبتِ ريا كيف أخفت براعة أندي وجهها المتعب الشاحب وأظهرت مكانه وجهاً مفعماً بالحيوية واللمعان. صاحت:

- إنه السحر!

هزأت أندي من كلامها فهي لا تقع أبداً في فخ التملق وبعد ذلك شرعت تسرح الشعر الأحمر الذهبي، فجلست ريا صابرة حتى طلبت منها أن تتحرك.

تحركت أندي نحو الباب.

- حسناً... سأذهب إذن.

فقالت ريا:

- ليس بعد. تناولي معنا شيئاً... للاحتفال بي أندي..

تناولت أندي كأس عصير صبه لها رينيه وتبادل الجميع التهاني، وبعد ذلك قالت أندي ثانية:

- والآن سأذهب!

فقبلتها ريا!

- شكراً لك أندي.. أنت رائعة.

اتجهت أندي نحو الباب قائلة:

- هل أسمح للجميع بالدخول؟

- أجل فليدخلوا.

قالت ريا لرينيه:

- ظننت أنني سأمزق الفستان حقاً حين غنيت أغنية «حبي الملتهب».

رد عليها:

- وأنا ظننتك ستقعين على وجهك. كيف تمكنت من الرقص



فيه؟ أدهشتني قدرتك على التحرك فيه

عجّ الباب بالناس الذين راحوا يتحدثون ويتساءلون وبدأ التمثيل من جديد، ولكن بطريقة مختلفة. أخذت ريا تتلقى القبل، تبتسم لهذا وتعانق ذاك رامية النكات والفكاهات ضاحكة.

بعد ساعة ذهب من اختارهم رينيه بعناية إلى ملهى ليلي.

وكانت ريا تتساءل دائماً كيف يفعل هذا، كان يبتسم ويرافق من لا يريد رفقته حتى الباب ملقياً يده على كتفه متحدثاً بود وصداقة شديدين وظل على هذه الحال حتى ذهب الجميع ولم يبقَ منهم سوى الأصدقاء الخلّص، أو من يرى وجوب مرافقتهم.

إن رينيه مدير أعمالها منذ خمس سنوات تقريباً. كان قد التقاها في ملهى ليلي من ملاهي لوس أنجلوس وكان من جذبه إلى المكان شلة من المراهقين كانوا يتجمهرون عند المدخل، وصوت الموسيقى... حين دخل الملهى كانت تجلس على كرسي أمام المقصف مرتدية سروالاً جلدياً أسود وقميصاً حريرياً أسود. رآه تلك الليلة في مكان لا ينتمي إليه بين شبان لا يمت إليهم بصلة، فقد بدا واضحاً أنه أكبر سناً من الأربعين تقريباً.

توجهت ريا يومها لأداء أولى أغنياتها فصدم صوتها الجو حوله وجعله يقفز مجفلاً.

كانت تغني مع جماعة من الشبان غير المحترفين «ولم يكن همّ هؤلاء المال بل الموسيقى التي كانوا متعلقين بها تعلق المدمنين بالمخدرات، ولطالما سألت نفسها عما حل بهؤلاء الشبان.

وبقي رينيه يومذاك طوال الأمسية، وحين خرجت تقدم إليها قائلاً:

- لديّ عرض لك.

نظرت إليه باشمئزاز:

- اقرب عن وجهي!

- ولكنني جاد أيتها الصغيرة.

ثم وضع يده على ذراعها، فنفضتها عنها ولكن رينيه ليس ممن يمكن صرفه بسهولة حين يصمم على شيء.. فلحق بها بقصير:

- لديك موهبة لم أشاهد لها مثيلاً منذ سنة، ولو وضعت نفسك بين يدي..

التفتت إليه بحدة وتمتمت من بين أسنانها:

- اسمع يا جدي لا أريد أن أعرف... لماذا لا تذهب من هنا تبحث عن امرأة في مثل عمرك؟

ضحك، وأخرج بطاقته:

- هذا عنواني.. ابحثي عني.. اسألي عني ثم تعالي لمقابلتي.. أنت ضائعة بين رعاة البقر العازفين على الغيتار، وبالمناسبة زوجتي تشاركني إدارة المكتب، ولو لاحظت أنني أنظر إليك كثيراً، لقطعت عنقي.

لم يكن يمزح وقد لاحظت ريا ذلك عندما خاطرت بزيارته في مكتبه بعد أسبوع والتقت بزوجته جولي.

توقفت السيارة الكبيرة التي يستقلونها أمام الملهى ودخل الجميع ضاحكين هازجين، راح الناس ينظرون إليهم متهامسين أما الساقي فانحنى أمامهم وقادهم إلى طاولتهم وسط تحديق الناس وميلهم نحو ريا لتهنئتها على نجاحها.

بعد قليل قال لها رينيه:

- هيا بنا نرقص.



فالتفتت إلى جولي:

- هل أستطيع استعارة زوجك؟

- تفضلي على الرحب والسعة.

ضحك رينيه:

- سنرقص جميعنا.

ردت جولي بحزم:

- ليس أنا.. فأنا لست معك.

قالت ريا وهي تتوق للرقص على أنغام الموسيقى:

- تعالي!

راحت ترقص حول رينيه جذلة، إنها الليلة معجبة بنفسها التي تشعر بها خفيفة وقال لها رينيه:

- عندما تهبطين، ستكون وقعتك شديدة الصخب!

- هاي، لا تفسد عليّ احتفالي!

وراح جسدها يتحرك بخفة مع النغم ثم وهي بين الجمع التقت عيناها بعينين رماديتين كالفولاذ شعرت أنهما ينصبان عليها كالمياه الباردة فنظرت إلى صاحبهما قليلاً، ثم أشاحت نظرها عنه.. ولكن صورته ارتسمت في عقلها: وجه قاس متجهم وشعر أسود كثيف وفم جميل التقاطيع مطبق. لوحت جولي لهما من الطاولة.. وقالت حين عادا إليها:

- وصل الطعام.

جلست ريا على الكرسي متنهدة، إنها ليست جائعة بل أن مجرد التفكير في الطعام يكاد يدفعها إلى الغثيان. رأت جولي نظرتها إلى الطعام فقالت:

- كلي!

- لا أستطيع.

- وهل أنا مضطرة لاطعامك بنفسي؟

قال رينيه بسرعة، محذراً:

- قد تفعل هذا!!

صاحت جولي من بين أسنانها:

- استرخي.. أترغبين في أن تسببي المرض لنفسك؟

التقط أحدهم شوكتها وأعطاها إياها، فتنهدت:

- لم أنا محاطة بالحاضنات؟

ردت جولي:

- لأن هذا ما أنت بحاجة إليه، يا طفلة!

ولهذا السبب شجعاها للسكن معهما. كانت في سن السابعة عشرة حين وجداها... ولما عرفت جولي أنها تعيش وحدها في غرفة ضيقة في منطقة وضيعة في لوس أنجلوس أصابها الذعر.

كانت قبل أن تنتقل للسكن معهما قد عانت من تجارب فظة سببها الرجال، فقد جعلها جمالها هدفاً سائغاً وأنزل بها عدم وجود عائلة لها خطراً حقيقياً وفي الواقع أن الحظ وحده أبقاها سالمة في السنة التي أمضتها وحيدة في لوس أنجلوس.

رفعت جولي رأسها فشهقت وفغرت فاها وريا أيضاً دهشت فرفعت رأسها كذلك.

- مساء الخير.

كان في الصوت العميق رنة خشنة ولكن العينين الرماديتين كانتا مألوفتين. لقد رأتهما منذ قليل أثناء الرقص. هبَّ رينيه على قدميه بسرعة، وعلى وجهه انطباع وجدته ريا مربكاً. لم تشاهد قط على وجه رينيه مثل هذه النظرات، كان كشخص ضرب



على معدته... نقلت نظرها عنه فرأت أن جميع من عمى قد حذا حذوه متعلقة عيونهم بالقادم الجديد.

هذه كانت حال الجميع باستثناء جولي التي ظلت باردة تبتسم:

- مرحبا... أيمكن أن نقدم لك شراباً سيد مايسون؟

- تقدمت إليكم لأهنىء الآنسة ايفرت.

ابتسم رينيه ابتسامة واسعة ثم جلب كرسياً وقال:

- ألن تنضم إلينا سيد مايسون؟ شاركنا نخب نجمتنا.

تجاهله الرجل الذي التفت إلى ريا، التي أخفضت أهدابها الاصطناعية السوداء الكثيفة وراحت تراقبه عبرها. يبدو أن جميع الحضور يعرفونه ولكنها لم تشاهده قط، إنها متأكدة... ولولا ذلك لتذكرتُ من هو.

وصل إليها، تناول يدها بهدوء عن الطاولة، فانتفضت متسائلة عما ينوي فعله وما هي إلا لحظة حتى رأته يرفع يدها. بدون تردد أو اهتمام بمن يراقبه وكان أن لثمت شفتاه يدها. حدقت ريا إليه وقد سرت رعشة ما إلى أوصالها.

قال بنعومة:

- حضرت حفلتك الليلة... كنت رائعة بشكل لا يوصف. ظننت أن الجمهور كله سيشتعل بالنار التي كنت تشعلينها.

ابتلعت ريقها بصعوبة، ونسيت جميع من على الطاولة، وكانت تحس بأنها عالقة في عزلة غريبة معه ولكنها وعت أن وراء الوجه القاسي إرادة قوية.

- شكراً لك.. أنا مسرورة لتمتعك بها.

خرجت الكلمات بطريقة آلية فتدخل رينيه... وكأنه يتوسل:

- اجلس وانضم إلينا سيد مايسون.

-آسف.. معي أصدقاء.

تم استوى واقفاً ليترك يد ريا ولكنه ظل ينظر إليها فأشاحت بوجهها عنه...

قال بصوت عميق، وكأن لا أحد سواها على الطاولة:

«عمت مساء».

وسألت نفسها بذهول لماذا تحس أن في تحيته تلك تهديداً من نوع ما ولكن لماذا بحق الله تؤثر فيها كلمات هذا الرجل الباردة إلى هذا الحد وهي الليلة قد تلقت الكثير من تحيات المعجبين وإطراءاتهم؟

ابتعد الرجل، تلاحقه نظرات جميع المتحلقين على الطاولة وارتجفت ريا، ولم تستطع إلا أن تلاحظ كيف كان يفسح الناس له الطريق أثناء مروره بهم في طريقه إلى طاولته، أو كيف كانوا ينظرون إليه بفضول وابتسام.

صفّر رينيه من بين شفتيه، واستدار إليها:

- واو...! لقد اصطدت سمكة كبيرة يا حبيبتي!

نظرت إليه عابسة تنتظر ايضاحاً... فقالت جولي حالمة، ترفع كأسها إلى الكتفين المبتعدتين:

- هناك مليار دولار تسير أمامك.. يا لسحر منظرها وهي تمشي على ساقين!

- ومن هو؟

كانت ردة فعل الموجودين على الطاولة درامية فقد تعالت الشهقات وأحست بالعيون تلمع في وجهها، كما رأت أن جميع من سمعها في حالة صدمة...



فسألت بين ضحك وحذر: «ماذا قلت؟»

فتمتمت جولي، في بداية الضحك:

- ماذا قالت... إنها تسأل؟

فغر رينيه فمه بشكل ظاهر:

- لا شك أنك تمزحين!

نظرت إليها جولي بإمعان:

- لا... إنها لا تمزح، فلا أثر للضحك على وجهها. حياتي.. ريا.. أتساءل أحياناً عن إذا كنت تعيشين معنا على الكوكب ذاته.

ضحكت ريا:

- إنه مشهور إذن!

أسند رينيه رأسه بين يديه، يهزه من جهة إلى أخرى مولولاً:

- مشهور؟ إنها تسأل.. أهو مشهور؟

مالت جولي إليها مبتسمة:

- حبيبتي.. هذا الرجل هو باول مايسون.

- ومن هو باول مايسون؟

صاح رينيه:

- لا أصدق... لا أستطيع أن أصدق أن شخصاً مثلها موجود.

نظرت إليها جولي مبتسمة ابتسامة ماكرة:

- انزلي من عليائك وانضمي إلينا ريا.. باول مايسون هو أحد أغنى رجال العالم.

وقال رينيه:

- إنه يكاد يملك خزينة الدولة.. هذا دون ذكر امتلاكه نصف

نيويورك خاصة في الوول ستريت.

نظرت إلى طرف الملهى فشاهدت رأسه الأسود قابعاً في طاولة منزوية وشاهدت معه فتاة بنية الشعر ترتدي فستاناً أحمر كالنار وزوجين يقفان استعداداً للرقص. فيما كانت تنظر إليهم نظر باول مايسون نحوها والتقت نظراتهما بدون ابتسام، عندها أحست بشرارات كهربائية غريبة تلسعها.

حولت نظرها بعيداً، ورمشت أهدابها الوردية. إنه يزعجها. لا يمكن أن تسميه وسيماً... فتقاسيم وجهه بعيدة عن أن يكون وسيماً.. ولكن ما من شك في أن بعض النسوة يرينه جذاباً جاذبية صاعقة هذا بالطبع إذا كن ممن يعجبهن ذاك النوع من الرجال القادر على شق طريقه عبر سد فولاذي.. ولكن ريا غير معجبة بهذا النوع. إن باول مايسون ممن يقدر على تنفيذ ما يريد وهذه ميزة تجعلها تتجنب أصحابها.

سمعت جولي تهمس لها:

- راقبيه.. أظنه معجباً بك، وهذا قد يكون أمراً صعباً... فهو صاحب سمعة قوية في ما يتعلق بالنساء الجميلات.. إنه يحب الحصول على الأفضل حتى في النساء. حذار يا عزيزتي لا تريد مشاكل معه.

- لن تواجهنا مشاكل! ربما أعجب بي ولكنه لا يعجبني.

- حبيبتي.. الرجل مكتنز!

- وإن يكن.

- لا أشير إلى المال فقط بل إلى جاذبيته الفريدة أيضاً.

- لا أجده جذاباً.

- هيا الآن.. لا تقولي ذلك عن رجل يملك هذه الجاذبية



كلها.

- ولكن جاذبيته لا تجذبني.

تمتمت جولي بذهول:

- أعتقد أن هذا أفضل لك، فقد يدمرك شخصاً كهذا خاصة وإن عملك قد بدأ يبلغ الذروة.

تدخل رينيه: «عمَّ تتهامسان».

ابتسمت له جولي:

- عنك حبيبي.

- آه.. إنه موضوعي المفضل.

بعد ساعة تقريباً... لاحظت ريا أن باول مايسون وجماعته يغادرون الملهى، فنظرت إليه مستغربة اختيال جسده الشرس.. كانت الساحة مكتظة بالراقصين الهازجين بحيث يصعب على المرء ملاحظة وجود أحد ما ولكن عيوناً نسائية عديدة انصبت على باول مايسون.

حين وصل إلى الباب التفت، ولم تكن ريا تتوقع هذا، فتأخرت كثيراً في إشاحة نظرها عنه. التقت عيونهما فأحست ثانية بردة فعل غريبة، تقلصت معدتها، وكأنها في مصعد ينطلق إلى الأسفل فجأة، دون سابق انذار.

ولكنه لم يبتسم، بل نظر إليها فقط. ومع ذلك أحست بأن هذه النظرة المختصرة بمثابة وشم يدمغها. ثم ارتد على عقبيه مبتعداً فحدقت ريا في المكان الذي كان يشغله وعيناها متسعتان دهشة.

* * *

## ٢ ـ هل قلتِ وداعاً؟

كان الفجر يتبلج حين عادوا إلى المنزل، وكانت ربا تنامْ على مقعد السيارة الخلفي ورأسها يتدلى على كتف جولي، بينما جسدها النحيل يثقله الإرهاق.

حين أيقظها رينيه تثاءبت، ثم راحت تجر قدميها إلى منزلها. وعندما وصلت أسرعت إلى غرفة نومها تلقي جسمها بدون وعي.

كان يمر عليها من حين إلى آخر كابوس مزعج هو كابوس تكرر ويتكرر منذ أمد بعيد. ولم يكن لهذا الحلم بداية بل هو عبارة عن صور رهيبة تلاحقها فتوقظها من منامها صارخة لاهثة، وقد أتاها ذاك الحلم الليلة فصرخت مذعورة.

اندفعت جولي إلى الغرفة يتبعها رينيه. كان وجهاهما شاحبين ولكن لا دهشة عليهما.

أشعل رينيه الضوء وأحضر لها كوباً من الماء أما جولي فراحت تهدىء روعها. لقد حدث هذا كثيراً أمامهما لذلك ما عادا يطرحان الأسئلة وكانا يتوقعان حدوث هذا في هذه الليلة بالذات فالكابوس كان يحدث إما قبل عرض مهم أو بعده، لأن ضغط العمل العلني، يدفعها دائماً نحو ماضٍ، تفضل أن تنساه.

ارتشفت الماء وجلس رينيه على السرير يربت يديها فهمست: «آسفة».

ـ انسي الأمر. . . إنني بخير الآن؟.

هزت رأسها واستلقت ثانية فبدت صغيرة شاحبة... نارية اللون في السرير المغطى بملاءة بيضاء.. أغلقا الباب بهدوء ثم خرجا فقد أصبح هذا روتينيا بالنسبة لهم جميعاً.. الحلم دائماً هو هو. وقد تعلما أن يتركاها تتغلب على خوفها دون الحديث عنه. فقد اكتشفا أن لا شيء مما قد يقولانه ينفع فالكابوس سيعود متى وجدت نفسها معرضة لضغط ما.

حين استيقظت ثانية، وجدت الغرفة تنعم بأشعة الشمس البراقة. كان الفصل ربيعاً فيه السماء زرقاء والهواء نقي، ووجدت جولي تضع فنجان قهوة إلى جانبها وتبتسم:

ـ تذكري.. إن عندك تصويراً في الثالثة. هل نمت مطمئنة في المرة الثانية؟

ـ كم الساعة الآن؟

ـ الظهر، تقريباً. إنك كالأموات.. ستحضر أندي قريباً، عليك أن تنفضي عنك الكسل قبل حضور الصحافيين.

قاومت ربا فجلست ثم أخذت تحتسي قهوتها ومزاجها كئيب كعادتها بعد عمل جديد مرهق.

ليلة أمس أعطت كل ما لديها وها هي الآن تحس بالفراغ.

دخلت أندي إلى الغرفة بعد عشر دقائق... وصاحت بها:

ـ ما هذا؟ انهضي من الفراش واستحمي.

فخرجت ربا من السرير إلى الحمام.

كان المنزل عصرياً، مطلياً باللون الأبيض وهو ذو غرف أربعة لكل منها حمام خاص والمنزل نفسه يقع على طريق ريفية متعرجة خارج باسدينا التي لا تبعد أكثر من عشرين كيلو متراً عن لوس أنجلوس، تحيط به حديقة خلابة تشكل حاجزاً بين المنزل والعالم

الخارجي إضافة إلى أبواب كهربائية تبقي كل المتطفلين بعيداً وسياجاً مرتفعاً يلف الأرض كلها.

وفي المنزل زوجان يتوليان شؤونه وهما يحافظان عليه محافظة تامة ولكن لا أحد يكاد يشعر بوجودهما فهما يسكنان في شقة صغيرة فوق المرآب الذي يضم خمس سيارات.

تركت ربا أندي في غرفة النوم ثم دخلت إلى الحمام الفخم الذي تخيم عليه الفخامة كلها... بعد ربع ساعة راقبتها أندي تخرج ووجهها شاحب.

- ستقوم يداي بما وسعهما لتغير حالك هذه.

- تبدين أشبه بمن رماه قط ما.

- هذا ما أشعر به فعلاً.

- هل أبدو مريعة؟

- طلبت منك البارحة أن تتوجهي مباشرة إلى المنزل.

- أعرف هذا.

- أنت لا تقبلين النصيحة أبداً.. أليس كذلك؟

- كنت سعيدة ليلة أمس.

- وها أنت في أسوأ حالك.

أتاهما صوت رينيه من الباب ساخراً:

- يا شعاع الراحة، أين كنت طوال حياتي؟

ردت أندي لاذعة:

- أختبىء منك.. انظر إليها جيداً.. إنها لا تحتاج إلى ماكياج، بل إلى حقنة دم في شرايينها. إنها شاحبة كالأشباح هذا الصباح، ماذا قلت لكم ليلة أمس؟ إنها تدفع بنفسها حتى الإرهاق وأنت تساعدها على ذلك، متى كانت آخر عطلة لها؟ لا تذكرني



بالأسبوع الذي قضته في ميامي في الميلاد الماضي. تلك لم تكن عطلة، بل عذاباً. فقد عملت هناك حتى تجمدت أطرافها.. إنها بحاجة إلى راحة طويلة.

وضع رينيه الصينية التي يحملها على طاولة الزينة، ونظر إلى عيني ربا في المرآة:

- لماذا لا تكتم أنفاس هذه الشمطاء... إنها تكاد تدفعني إلى الجنون! لا يكفي شكاوى جولي.

ردت عليه أندي:

- زوجتك قديسة، وما تتحمله منك لا يعرف به إلا الـ...

سارع يتجه إلى الخارج: «سأخرج».

تناولت ربا عصير البرتقال المثلج من الصينية وارتشفت منه أما أندي فراحت تسرح لها شعرها. لم تكن تتناول الفطور أبداً لأن شهيتها أخف من شهية عصفور وهذا واقع انعكس على جسدها النحيل.

سمعت صوت بوق السيارة في الخارج فقالت:

- ها قد وصلوا.

كانت الساعة التالية عذاباً وإرهاقاً فقد وقفت هنا وهناك داخل المنزل لالتقاط صورها... فكانت صورة في غرفة النوم وأخرى في غرفة الجلوس وأخرى قرب بركة السباحة وفي هذه الصور كان تنظر نظرة إغراء وتحد. إنه نوع آخر من التمثيل اعتادت عليه.. ولكنه يستنفد من طاقتها الكثير.

حينما غادر الصحافيون غرقت في مقعدها متأوهة: «يكفيني اليوم».

نظر رينيه إليها ثم انتقل إلى زوجته، وتعبير الدهشة في

عينيه.. إنها تعرف هذه النظرة، ولا بد أنهما يدبران أمراً.
تساءلت.
- وماذا الآن؟.
كانا يتآمران عليها من حين إلى آخر.
فيخفيان عنها أمراً حتى يطمئنا إلى أن كشفه لن يؤثر فيها.
كانت صغيرة جداً حين ضماها إلى كنفهما ومرّ الوقت ولكنهما ظلا يعاملانها معاملة طفلة.
- انظري يا طفلتي..
عقدت يديها فوق رأسها غيظاً:
- ماذا تطبخان لي الآن؟.
بدأت جولي تصفّر بصوت منخفض، وهذا دليل على أنها لا توافق على ما خططه رينيه، الذي قال:
- وصلتني مكالمة هاتفية هذا الصباح.
- نعم؟
- من باول مايسون.
استوت ريا في جلستها مذعورة: «ماذا يريد».
ردت جولي بصراحة وقحة:
- أنت.. يريدك أنت.
قاطعها رينيه وهو ينظر بحدة إليها:
- طلب التحدث إليك.
قاطعتهما جولي ثانية:
- لكنك كنت نائمة.
قال رينيه: «فتلقيت المخابرة».
ليلة أمس أحست ريا أن ذلك اللقاء القصير ما هو إلا مقدمة،



لقاء قصد منه باول مايسون التعارف.. فلقد ترك في نفسها تأثيراً يشبه تأثير الخطاف... إنه نوع غريب من الخوف أثاره منظر عينيه الرماديتين لذا لم يدهشها ما تسمعه هذا الصباح.
- وماذا بعد؟
فتح رينيه فمه لكن جولي سبقته:
- إنه قادم للعشاء الليلة.
- ماذا؟.
- لقد أثرت فيه جداً ليلة أمس يا طفلتي.. يريد أن يلقاك وهذا سيساعدنا كثيراً. يمكنه أن يساعدك في بناء مستقبلك خاصة في أوروبا.
سارعت جولي تقول:.
- إنه سمكة قرش.. قرش يأكل النساء.
- إنه يملك إحدى أكبر شركات التسجيل في أوروبا.. وهذا يعني العالم.
- سيأكلها حية.. وبعد ذلك لن تجد منها سوى قطع مبعثرة!.
- ريا تملك عقلاً راجحاً يجعلها لا تتورط معه إلى هذه الدرجة.
- يا لك من متفائل!
- ليس عليها إلا أن تظهر اللطف فتسليه وتجعله مهتماً بها.
صاحت جولي بحزم:
- إنها لا تحتاج إليه. كان يمكن أن نستفيد من هذه المساعدة منذ ثلاث سنوات أما الآن فلا، لقد نالت الشهرة دونما الحاجة إلى باول مايسون الذي يشكل خطراً عليها.

- وماذا يفترض أن أقول له؟ إنه صاحب نفوذ كبير وهو قادر على خدمتنا كثيراً أما إذا أغضبناه فقد يؤذينا. وإذا تصرفنا بحكمة سرنا في طريق ومنطق. أنا لا أقترح أن ترمي ريا نفسها بين ذراعيه!

ردت جولي ساخرة:

- حسناً.. ما أشد سعادتي بقولك.. لقد بدأت أتساءل عن هذا الأمر.

جلست ريا في كرسيها تصغي إليهما بصبر وأناة فقد اعتادت على أن يناقشا أمورها وكأنها غير موجودة.

- إنه قادم للعشاء.. وهذا ليس جريمة! كنت مضطراً إلى أن أظهر له أدباً وكياسة أليس كذلك؟

تنهدت جولي، ثم ابتسمت:

- مشاكل، لا شيء سوى المشاكل. من المؤسف أنه كان في ذلك النادي ليل أمس فرآها. ما إن وقع بصري عليه حتى استحوذ علي احساس غريب.

ران الصمت بعد ذلك فلما رفعت ريا رأسها رأتهما ينظران إليها والقلق يطل في عيونهما.

وقال رينيه متوسلاً:

- ليس عليك إلا أن تكوني مؤدبة معه، صدقيني لن نتركك معه على انفراد.

وقالت جولي: «هذا وعد».

- أتثقين بنا؟.

هزت رأسها مبتسمة.. فتابع:

- ومايكل قادم أيضاً.



ضحكت جولي:

- مع فتاته الجديدة.. كاترين.. أتصدقين هذا؟

كررت ريا ضاحكة:

- كاترين؟

قالت جولي والخبث في عينيها:

- لا أستطيع الانتظار حتى أراها.

مايكل ستيل هو المسؤول عن تسجيل موسيقى ريا في الحفلات. إنه رجل ذكي في أواخر الأربعين، ذو وجه نحيل حليق دائماً وصاحب ولع غريب بالسيارات والثياب. كان عبقرياً بطريقته الخاصة وكان له اليد الطولى في بناء مستقبل ريا التي اختار لها الألحان المناسبة فله إذن حساسة لما يناسب صوتها موسيقى.. ولكن حينما كانت تجادله في لحن كان يتولاه العبوس الذي قد يدوم أسابيع.. غير أن الوحيد الذي يخرجه من عبوسه هو رينيه.

حين وصل مايكل في المساء كانت ريا ترتشف كوباً من عصير الطماطم ورينيه وجولي يرتشفان عصير البرتقال. ودخل مايكل مبتسماً مع فتاة ترتدي سترة فرو بيضاء قصيرة... فتاة طويلة القامة، نحيلة، ممسوحة الصدر ضفائر شعرها الأسود تحيط بوجه خشبي.. تحدث مايكل، وابتسم ملقياً النكات لكن رفيقته ظلت صامتة. تقدمت مديرة المنزل، السيدة ووبرتس تأخذ سترة كاترين فطلبت المرأة بخجل أن تذهب إلى الحمام.. وما أن غادرت المكان حتى صاحت جولي بمايكل:

- ماذا تجد فيها بالله عليك؟

- إنها تغريني

ضحكت جولي واضعة يدها على ثغرها:

- أنا عاجزة عن الكلام! ليس عندها كلمة تقولها حتى لنفسها.

- وهذا ما هو مثير فيها. لا أعرف أبداً في ما تفكر. أحب المرأة التي يكتنفها الغموض.

- هذا ليس غموضاً مايكل. إنه غباء فهي لا تتظاهر بل هي حمقاء فعلاً.

- وسيكون من دواعي المرح أن أكتشف هذا.

وعادت كاترين إلى الغرفة، ونظرة الفراغ مثبتة على وجهها. .

بعد دقيقتين دخل باول مايسون، فأحست ريا بتقلص في داخلها، وانكمشت معدتها، كما يحصل حين تكون على وشك الصعود إلى المسرح، وهذا ما لا تفهمه. ولكنها تحس أنه مصدر تهديد لها، أما السبب فلا تعرفه، لأنها لم تشعر قط هذا الشعور تجاه أي رجل.

نظر باول مايسون في الغرفة فالتقت عيونهما ولاحظت أنه يحدق إلى فستانها الأبيض وإلى السترة البيضاء القصيرة فوقه. كان طراز ما ترتديه قديماً ولكنه يناسبها، ويزيد من إبراز بريق شعرها الأحمر، وعينيها الحساستين، ويركز على صغر سنها، وهشاشة وجهها النحيل. . . قال لها بصوته العميق المبحوح:

- مرحباً!

أحست برعشة تدب في أوصالها فردت:

- مرحبا.

كانت كاترين تركز عينيها على باول مايسون منذ دخل ولمّا جلس تسللت لتدسّ نفسها بنعومة الأفعى في المقعد المجاور له.



قالت أمام ذهول الجميع: «رأيتك في المجلة».

إنها المرة الأولى التي تقول فيها جملة الليلة، فشهقت جولي، أما باول تحوّل بصره إليها قائلاً:

- حقاً؟

كان بروده قاطعاً، لكن وجه كاترين انتعش.

- كنت على يختك في برمودا.

هز رأسه إيجاباً دون أن يرد فأضافت:

- كنت مبحراً.

وكأنما لا يعرف هذا، فتمتمت جولي بلهجة كالعسل:

- إن هذا لمذهل.

وسأله رينيه:

- كم ستمكث في أميركا؟

رد باول مايسون أنه لم يقرر بعد. . أما ريا فنظرت إلى يديها تُشغل نفسها بهما ثم لم تلبث أن رنت إليه فرأت جانب وجهه الصلب أولاً ثم إلى يديه السمراوين اللتين أطبقتا على الكأس برشاقة. تحرك قليلاً، فأحست بركبته تصدم ركبتها. كان تلامساً عرضياً وحدث فيما كان يتحدث إلى رينيه ولكن ريا تحركت مبتعدة ساحبة أنفاساً مكتومة ولكنه التفت إليها بحدة.

ساد صمت قصير التفت بعده نحوها ليقول:

- أحبك على الأسطوانة البلاتينية. . . قرأت عنها في صحف الأسبوع الفائت.

ابتسمت بأدب:

- شكراً لك.

قاطعها رينيه بقوة كالعادة:

ـ أتعلم أن لديها خمس ذهبيات؟ وهي تستحقها لأنها تعمل مخلصة سيد مايسون، كما أنها محلقة تحقق الانجازات.

ومال إلى الأمام وملء وجهه الإثارة والإصرار:

ـ لدى بعض المغنيات كل شيء: الصوت الشجي والوجود المسرحي إلا أنهن لا يملكن الاندفاع لذا لا يحققن شيئاً.

جلست ريا مطأطئة العينين، تعض شفتها. كانت معتادة على أن يتحدث عنها الآخرون وهي مستمعة فقط ولكن لم تستسغ هذا الأمر اليوم بسبب وجود باول مايسون بل أحست بقلة الراحة والتوتر.

أتمّ مايكل قول رينيه:

ـ على المرء أن يعطي كل ما عنده لينجح.

كان باول مايسون يرتشف العصير المثلج ببطء مصغياً إلى رينيه ومايكل وهما يتحدثان عنها، كما يفعلان دائماً. في بداية انطلاقتها صدمها أن تسمعهما يتباحثان أمرها بصراحة وعلنية ولكنها فيما بعد اطمأنت إلى حسن نيتهما فراحت تصغي، وتسجل الملاحظات في رأسها، وتحاول اصلاح نقاط الضعف.

خلال العشاء، تطرق رينيه ومايكل إلى جدال مزعج يتعلق بترتيبات أغنيتها الجديدة، وأصغت لهما تغض الطرف والتسلية تومض في عينيها، وقال مايكل ملوحاً بشوكته في وجه رينيه:

ـ أقول لك إنها لن تستطيع إجادة تلك النوتة.

ـ ومن يقول هذا؟.

ـ أنا أقول، فليس في صوتها ما لا أعرفه.

كانت عينا باول مايسون أثناء الجدال مركزة على وجهها، أحست بهما تحدجانها ببرود طوال الوقت، فنفرت من امعانه



هذا. لماذا لا يتوقف ـ التحديق إليها؟.

انحنى نحوها فجأة، وقال بصوت منخفض لئلا يلتقط الآخرون ما يقول:

ـ أيتحدثان عنك دائماً بهذه الطريقة؟.

رفعت ريا أهدابها فبان اخضرار عينيها وظهرت نظرة تساؤل على وجهها.

ـ آسفة! ماذا تعني؟.

التوى فمه بسخرية.

ـ سمعت هذا ليلة أمس في الملهى... وها أنذا أسمعه ثانية اليوم يتحدثان عنك وكأنما لا قرار لك. أنت ملكهما، طفلتهما المدللة، ولا أراك ملكاً لنفسك بل ملك لهما.

ـ رينيه مدير أعمالي.. وهو من بنى شهرتي.. لذا أنا مدينة له بكل شيء.. له ولجولي.

ـ ومقابل ذلك تركينهما يديران حياتك؟ أتعيشين هنا معهما؟ وماذا عن عائلتك؟ كيف ينظرون إلى هذا؟.

تسمّرت وتغضن وجهها كله وامتنعت عن التفوه بكلمة. انتظر لحظة وحين بدا له أن ليس في نيتها أن ترد سألها سؤالاً آخر:

ـ كم عمرك؟.

ـ اثنان وعشرون.

عاد الصمت بينهما. ولمّا نظرت إليه التقت عيناها عينيه.

ـ ومنذ متى وأنت جزء من هذا «السيرك»؟.

ـ منذ خمس سنوات.

ـ خمس سنوات؟ أي منذ كنت..

ـ في السابعة عشر.

- كيف بدأت معهما؟
- هو من اكتشفني.
- كيف؟
ابتلعت ريقها بصعوبة والتفتت بعيداً. لا تريد أن تخبره الكثير عن نفسها، ولا تريده أن يعرف الكثير.
- أين ولدت؟ هل أنت من لوس أنجلوس؟.
نظرت ريا إلى جولي مستنجدة، فمالت جولي إليها.
- ما رأيك بالحفلة سيد مايسون خاصة أنك خبير بالحفلات؟.
- رائعة... تمتعت بها.
سأله رينيه:
- أين تقيم في لوس أنجلوس؟.
شاهدت ريا يده ترتفع بقبضة قاسية فوق الطاولة:
- تملك شركتي منزلاً في آخر طابق من المبنى الذي تقع فيه.
سألت جولي بحماس دافىء:
- لا شك أن المنظر هناك رائع؟
رد بأدب بارد:
- صحيح..
أكمل رينيه يسأل وأكمل باول مايسون يرد باقتضاب كابحاً نفاذ صبره.. فقد عرف ما يفعلان، عرف أنهما يبعدانه عن ريا، ولم يعجبه هذا.. لكن دماثته منعته من تجاهلهما.
تناولوا القهوة في غرفة الجلوس وكانت جولي قد سارعت للجلوس قرب ريا قبل أن يسبقها باول مايسون.. وهناك راح ينظر إليهما ببرود مصغياً إلى رينيه، ثم فجأة وضع فنجان قهوته من يده



ومد يده إلى ريا مطبقاً على معصمها جاراً إياها لتقف قبل أن تفكر في رد على ما طلبه:
- أود رؤية اسطواناتك الذهبية. أين هي؟
قفز رينيه واقفاً:
- إنها في مكتبي، وسأكون مسروراً أن أريك إياها.
في هذه اللحظة رن جرس الهاتف.. فترددت جولي قليلاً قبل أن تقف لترد.. وفيما كانت تمر برينيه نظرت إليه نظرة تحذير، فابتسم:
- نحن فخورون جداً بنجمتنا سيد مايسون، فقد اجتازت طريقاً طويلاً في مدة قصيرة، وهي ما تزال تتقدم بسرعة إلى القمة. سيكون لدينا يوماً ما رفوف كاملة من الأسطوانات الذهبية. أليس كذلك مايكل؟
- طبعاً.
صاحت كاترين مولولة وهي تنظر إلى يدها:
- لقد كسرت ظفري!
استدار مايكل نحوها، فمدت له يداً ترتجف والرعب على وجهها، فقال لها:
- إنها لمأساة حبيبتي.
وقبل لها يدها، فتمتم رينيه: «يا إلهي!».
التفتت جولي بإثارة تمد سماعة الهاتف.
- لندن يا رينيه، يريدونك.
أسرع يأخذ السماعة ويتحدث بطاقة متفجرة أما جولي فوقفت إلى قربه تحاول سماع ما يقال على الطرف الآخر من الخط.
التفت باول مايسون إلى ريا وأخذ يشدها نحو الباب. فرفعت

نظرها إليه بقلق. وقبل أن تتمكن من الاحتجاج وجدت نفسها في مكتبة رينيه.. حينما ترك يدها تنفست الصعداء وهناك في المكتبة وقعت عيناه على الاسطوانات الذهبية فتقدم إليها يتفحصها أما ريا فراحت تذرع المكان قلقة.

التفت إليها:

- إن هذا لمؤثر.

- شكراً لك.

- أعتقد أنك تقدمت كثيراً في السنوات الأخيرة.

- والشكر لرينيه وجولي.

- آه.. صحيح.. أتعلمين أنك متناقضة؟ لا أستطيع فهمك. ما كدت طوال الأمسية تفوهين بكلمة كما أنك في هذا الثوب أشبه بتلميذة خجول، أين هي الفتاة التي رأيتها بالأمس ترقص وكأنها نار ملتهبة؟ حين سرت فوق المسرح بفستانك الأسود، بدوت تحت الأضواء أشد النساء إغراء فكدت تخطفين أنفاسي.

توردت وجنتاها فأخفضت عيناها، لكنها لم ترد.. فقال بعد انتظار:

- أنت الليلة مغطاة من الرأس حتى القدم، فأيهما ريا ايفرت الحقيقية؟.

ابتسمت ببرود:

- ربما أنا آخر شخص يقدر أن يجيب عن سؤالك فنحن عادة لا نعرف أنفسنا حق المعرفة.. أليس كذلك؟

- لدى معظمنا فكرة عما نحن عليه... حين تصبح راشدين نكوّن فكرة عن أنفسنا. سمعت الكثير الليلة من مديرك وزوجته، لكنني لم أسمع همسة منك، فعجزت عن معرفة ما أنت عليه



حقاً.

أشاحت بوجهها عنه.

- عليك أن تكوّن عني رأيك الخاص إذن.

- شاركيني العشاء لأتعرف إليك.

تشنجت: «آسفة».

لكنه قاطعها:

- لن أقبل بالرفض، فلم أقبل به قط. فأنا مثلك، أعرف ما أريد وأتوجه نحوه، ولا أقبل الرفض.

ابتسم لها وهو يقول هذا، والسخرية الساحرة على وجهه، فرفعت ريا رأسها بكبرياء.

- في هذه الحالة، أخشى أن تكون مضطراً لقبول الرفض سيد مايسون. فأنا مشغولة جداً وعملي لا يترك لي وقتاً لحياة خاصة.

- لا يمنحك وقتاً لحياتك الخاصة؟ أتمقتين الرجال؟

لم ترد.. بل نظرت إليه متحدية.

- ألستِ على علاقة غرامية مع أحد؟

في صوته حدة الآن، فاستجابت لحدته بأن رفعت حاجبها ببرود، وعيناها الخضراوان متجمدتان.

دس يديه في جيبي سرواله، يهتز يمنة ويسرى فوق عقبيه.. وجدت ريا نفسها تحدق إليه مفكرة أن عينيه هما أشد العيون تأثيراً في النفس.. شكلهما ولونهما فريد من نوعه وغريب في الوقت ذاته.. فجأة سألها:

- منذ متى وأنت على هذه الحال؟ ألم تقيمي صداقات مع شبان قط؟

تضرّج وجهها، ولم تستطع منع الشهقة من الخروج لكنها لم

ترد.. وصمتها على ما يبدو تكلم عنها.

ـ وهل هذا الوضع فكرتهما؟

ـ بالطبع لا!

ـ لكنهما يديران حياتك، أليس كذلك؟

نفرت من الطريقة التي يقول فيها هذا، وكرهت التلميح إلى أن ربيبه وجولي يسيطران عليها ويستغلانها. إنها مدينة لهما بالكثير، ولن تدع غريباً عنها يتدخل ويهاجمهما دون أن يعرف عنهما شيئاً.

ـ بالطبع لا يديران حياتي.. فلا تكن سخيفاً!

ـ لا؟.

ـ أنت لا تفهم!

ـ اشرحي لي اذن.

ـ إنهما عائلتي!.

وهذا ما كانت تحس به فعلاً. إنهما عائلتها الوحيدة في الدنيا، إنهما أول من شعرت بالانتماء إليهما، إنهما بالنسبة لها الأمان.

راقب باول مايسون الغضب يتفاعل على وجهها، وضاقت عيناه:

ـ لقد أقفلا عليك فعلاً بالقفل والمفتاح.. إنهما يملكانك جسداً وروحاً.

ـ هذا كلام سخيف!

ـ صحيح؟ ولماذا تقبلين بهذا؟ لماذا تسمحين لهما بأن يديرا حياتك ولماذا تتركينهما يمليان عليك ما تفعلين؟

ـ إنهما مضطران لادارة أموري، واتخاذ القرارات عني وإن



رفضت أمراً ما ناقشاني حتى يقنعاني بوجهة نظرهما.

ضحك ساخراً:

ـ يا إلهي... لا يمكن أن تكوني هكذا حقاً! أتصدقين هذا؟ ألا ترين أنك ألعوبة في أيديهما؟ هما بالطبع لا يريدان أن تتورطي مع أحد أو أن تحبي أحداً لأن ذلك سيفسد عليهما الأمور.. أستطيع فهم وجهة نظرهما.. ورضوخك لهذا الواقع؟ هل أنت باردة؟.

نظر إليها ملياً ثم قال بصوت بطيء:

ـ ليس لي الحق بهذا.. أليس كذلك؟ ثم هناك حبيب لك في كل مطرح.. هناك الملايين.. ثمة مليون حبيب في كل مرة تظهرين فيها على المسرح. لهذا كنت ملتهبة ليلة أمس، حبك الوحيد هو جمهورك.. وما من رجل يستطيع منافستهم.

غضبت بمرارة مما انطبع على وجهه ومن لهجته الجافة، تحركت نحو الباب لتخرج. ولكنه أوقفها، فأحست بالرعب وشحب وجهها حين منعتها يداه وحينما لامس جسمه جسمها.

وتكلم وكأن كلامه يلامس شعرها:

ـ آن الأوان لك لتخرجي من عالم الأحلام ولتكتشفي ما ينفعك.. شاركيني عشائي غداً. أريد التعرف إليك أكثر لأعرف ما أنت عليه في الحقيقة.

ـ لا.

ـ ولم لا؟.

وأعاد الخوف شجاعتها إليها.

ـ وما الذي يجعلك تظن أنك قد تعرف عني شيئاً ما دمت لن أخبرك بما تريد.

- ولماذا السرية؟ ماذا لديك لتخفيه؟.

- اتركني.. ليس عندي ما أخفيه. لا تكن سخيفاً.

- إذن لماذا تعارضين فكرة تعرفي إليك؟.

- أنا لا أعارض!.

- بل تعارضين. تبدين شخصاً يوشك أن يصرخ مذعوراً.. لماذا تكرهين الاجابة عن أسئلة تتعلق بك؟ كلفت من يطلع على حياتك وإذا بهم لم يتوصلوا إلى شيء.. أنت كتومة جداً.. لماذا؟.

- لأنني أخبر الناس ما أود أن أخبرهم فقط، فلكل منا الحق في كتمان أمره. الناس يحاولون دائماً الاصطياد ومعرفة أي شيء عن الشخص وكأنه نوع من الحشرات.. حسناً.. لا يحق لأي كان أن يصف فلاناً من الناس سيد مايسون، وأنا أرفض أن يفعل ذلك بي أحد.

رد بلهجة راضية.

- هذا ما يبدو لي!.

حرك يده لتلامس عنقها مداعباً، فتراجعت محتجة:

- لا تفعل هذا!.

فابتسم:

- تابعي التحدث إلي لأنك عندها تعودين تلك الفتاة التي شاهدتها على المسرح.

- لطفاً اتركني؟ لا أريد التحدث إليك!.

- ولم لا؟ ألا يمكنك الزام نفسك بعلاقة حقيقية؟ أتفضلين الخيال ريا؟.

- أرجوك امتنع عن هذا القول.



دفعته عنها واتجهت نحو الباب ولكنها لم تبتعد لأنها أحست بيديه تطبقان على خصرها النحيل وتشدانها إلى الخلف، مسيطراً عليها وكأنها طفلة صغيرة:

- لقد اكتشفت أمرك.. أليس كذلك! ما من علاقة فردية تماثل الخيال الذي تعيشين فيه... فلا يمكن لجمهورك أن يصل إلى معرفة ريا الحقيقية... كل ما يرونه مجرد نجمة، نجمة لامعة متراقصة... وهذا ما تريدين أن يروه.. أليس كذلك؟ تفضلين الوهم على الحقيقة، والظلام على النور.

قاومته تتلوى من جانب إلى آخر تحترق بغضب عاجز.

- أليس المكان بارداً كالفخ في عالم الخيال ريا؟.

وكاد غضبها يطفح فقاومته بعنف حتى تحررت منه فقالت:

- وداعاً!.

وفتحت الباب...

رد باول مايسون بنعومة:

- لن أقول لك وداعاً أبداً ريا.

وصفقت الباب في وجهه مرتجفة تهرع غرفة نومها.

* * *

## ٢ ـ أسئلة محرّمة

كانت قابعة في فراشها، وما هي إلا نصف ساعة وإذا بجوليا قد دخلت عليها غرفتها، ثم تقدمت لتجلس على حافة السرير محتبية:

ـ لقد رحل... ماذا حدث؟.

ـ لا شيء... نظر إلى الاسطوانات الذهبية وطرح بضع أسئلة.

كرهت أن تبوح لجولي بما قاله لها من كلام أثار في نفسها أسئلة تؤثر أن تبقيها طيّ الكتمان.

ـ آسفة لفشلنا في إبعاده عنك.. فقد كانت المخابرة مثيرة... تأكدنا من وجود جولة في انكلترا في السنة القادمة، وإن لم نتأكد بعد من هذا الأمر. لكنني أقول إن كل شيء جاهز.

ـ عظيم.

لو وقع هذا الخبر قبل أسبوع لطارت له فرحاً، لكنها الليلة أحست بالملل... وهذا ما تنبهت له جولي على الفور:

ـ ألم يثرك هذا؟.

لم تستطع فهم سبب برود ريا وهدوئها... فقد نسيت جولي باول مايسون وكان ما أزاله عن تفكيرها المخابرة.

فابتسمت ريا: «أشعر بالإثارة طبعاً».

ـ هذا ما كنا نسعى له. عليك إن كنت تريدين القمة أن تنالي شهرة في أوروبا.



ـ أعرف هذا.

فهذا... ما كانا يقرعان له الطبول منذ خمس سنوات ليرسخ في عقلها.

ـ تبدين أشبه بمن تلقى سندويشاً وهو يتوقع الكافيار... لا شك أنك متعبة، ومن الأفضل أن تنامي. فتذكرين أن عندك تمارين غداً في الأستديو.

اتجهت نحو الباب وأطفأت النور، أما ريا فاستلقت تضع خدها على يدها. وسألتها جولي في العتمة:

ـ أنثقل عليك كثيراً يا ريا؟ أتحسين بالتعب هذه الأيام؟.

ـ بالطبع لا.

صمتت جولي قليلاً، ثم قالت:

ـ ربما قد تكون أندي على حق، وأنه عليك أن تأخذي عطلة!.

ـ أندي قتالة كل فرح... فهي تتمتع بلهو الحديث.

ـ وإن يكن، فقد تكون على شيء من الصواب.

وأغلقت الباب.

أخذت ريا تتقلب في الفراش، وتعض شفتها.

إنها تعلم حق العلم أن باول مايسون رجل لا يستهان به وتعلم أن الرجال الذين التقت بهم من قبل كانوا ظلالاً تمرّ بها مرور الكرام يدورون حولها كما تدور الرحى حول القطب ولم تكن لهم فرصة التقرب منها. لكن مع هذا الاتصال القصير، تأثير باول مايسون عليها أخذ يقض مضجعها. لخمس سنوات خلت، كانت غارقة في بحر لجيّ من أحلام النجومية والشهرة أحلام أبرزها لها رينيه، ولم تكن بحاجة إلى حلم آخر.

كان وقوفها على خشبة المسرح يجعلها أسيرة حب جمهورها. وكانت الموسيقى تأخذ بها وبجمهورها إلى عالم علوي من الاثارة المجنونة.. أما التسجيل في الاستديو فلم يكن ليبلغ في العطاء شأو عالم المسرح.

أنكرت على باول مايسون شيئاً تعرفه وقد حاول باول أن ينتزع منها اعترافاً.. لكن لماذا تعترف؟ إنها لا تريده أن يقترب كثيراً منها. إنها تخشى اعترافاً يهدد مصدر قوتها الخفي، فلو دخل إليه أحد لتدفق العالم كله وراءه، هي لا تريد ذلك بل تريد أن تكون آمنة في وحدتها.

استفاقت في آخر الليل على كابوس شهقت له ولكنها كتمت صراخاً لو انطلق لارتعب منه رينيه وجولي...

استلقت وقد اصطكت أسنانها ومن حولها غرقت الغرفة في صمت مطبق وتاهت عيناها بفراغ الحلم الذي لا ينفك يتركه في قلبها كلما رأته.

كانت تكره أن تستفيق من الحلم لتجد نفسها وحدها في الغرفة. فالوحدة هي أسوأ ما تقدمه الحياة. وأضاءت النور، وآنست في نفسها طمأنينة حين فتحت الراديو واستمعت إلى الموسيقى دون أن تلقي لها بالاً، ثم تناهى إلى مسمعها صوت مألوف فافترت شفتاها عن ابتسامة خفيفة.. صوتها لا يزال يبدو غريباً لها. أطفأت الراديو مجدداً.. وأطفأت النور وتمددت لتعود إلى النوم.

كانت تنهي احتساء عصير البرتقال الصباحي حين دخلت جولي تحمل علبة كبيرة، فرفعت ريا حاجبيها حين رفعت جولي الغطاء لتكشف عن عشرات الورود الحمراء الدكناء.



ضحكت جولي:

ـ احزري من؟.

ادعت أنها تجهل المرسل:

ـ ممن؟.

لم يخدع تجاهلها جولي التي أخرجت البطاقة من العلبة وأعطتها لها. لم يكن فيها رسالة بل اسم مكتوب بأحرف بارزة سوداء.

ـ باول مايسون؟.

ـ مفاجأة! مفاجأة!.

أخرجت جولي وردة ذات ساق طويلة ورفعتها إلى أنفها.

ـ للورود رائحة طيبة.. أليست كذلك؟

وجهتها إلى ريا التي تنشقت عبيرها العطر.

ـ جميلة!.

أعادت جولي الوردة إلى العلبة.

ـ ماذا ستفعلين بخصوصه؟.

ـ لن أفعل شيئاً!.

ـ سيلاحقك... أنت تعلمين هذا!

ـ لن أهتم به ولا بد أن يفهم أخيراً الرسالة.

ـ فلنأمل هذا، ولكنني لست واثقة.. إنه رجل معتاد على الحصول على ما يريد.. إنه يختار دائماً الشهيرات من النساء. يجب أن تكون المرأة التي يعاشرها غنية مشهورة. إنه ذواقة!

ـ حسناً... لن يضمني إلى مجموعته!

ـ أنت عنيدة.. أما أنا، فلو أشار إلي بطرف اصبعه لقادني وأنا طائعة.

ضحكت ربا:

ـ لكنك ستقاومين، فأنت لا تقوين على تحطيم قلب رينيه.

ـ أي قلب؟.

دخلت أندي في تلك اللحظة إلى الغرفة:

ـ ألم تنهضي بعد؟.

قفزت ربا بسرعة من السرير واتجهت صوب الحمام.

ـ بلى!.

أوصلها رينيه إلى الاستديو للتمرين، وذهب إلى مكتبه واعداً بالعودة لاصطحابها.

كانت عملية التمرين بطيئة رتيبة، وكان المنتج دايفد سيرتغ يقاطعها دائماً فقد استمر يعلق على ما تفعل طالباً منها تغيير هذا أو ذاك حتى بدا أخيراً راضياً فقال عبر الميكروفون:

ـ فرصة لشرب القهوة.

نزلت عن المقعد المرتفع أمام الميكروفون، وانتزعت السماعات عن أذنيها... كان الجو في غرفة المراقبة حاراً ومتوتراً ومشبعاً بالدخان، وتسللت المجموعة لتقف معها وهم يتحدثون عن كرة القدم، فأمسكت فنجان قهوتها الكرتوني وخرجت تتمشى في الممر ثم وقفت تنظر إلى خارج النافذة حيث السماء مكفهرة. حين أطبقت يداه على ذراعيها ذعرت فالتفتت مصدومة وإذا بها تنظر إلى عينين رماديتين ساخرتين فارتدت ونبضات قلبها تتسارع.

ـ ماذا تفعل هنا؟.

ـ جئت أسترق السمع إليك.

التقى حاجباها:

ـ وكيف عرفت أنني هنا؟.



ـ اتصلت بمديرك فأخبرتني سكرتيرته أنك هنا.

ـ أوه... صحيح؟.

فكرت أن تقول لرينيه ان الفتاة لم تكن كتومة... فقد يتصل أي كان فيعرف منها مكانها...

وسارع يقول:

ـ لا تلوميها... فقد ذكرت لها اسمي.

نظرت إليه ساخرة:

ـ وهذا ما حلّ عقدة لسانها؟

ابتسم:

ـ لي بعض السحر.

ـ حقاً!

ـ يسرني أنك عرفت هذا.

وابتسم لها فشع السحر في عينيه ولكنها أشاحت وجهها قبل أن تخفضه. ارتجفت من ردة فعلها أمامه، وغضبت من نفسها لأنها لم تقدر على مقاومة جاذبيته، بعد قليل خلع سترته وضمها حول كتفيها، وأمسك بياقتها:

ـ تشعرين بالبرد؟ أنت شاحبة، تعملين جاهدة... ألم يحن الوقت للتمهل قليلاً آنسة ربا ايفرت؟.

وأحست بلمسة اصبعه الدافئة على خدها، وعرفت، دون أن تنظر، أنه يبتسم.

ـ تناولي الغداء معي.

هزت رأسها بعنف:

ـ سأتناول الغداء مع رينيه.

ـ لن يفتقدك إن لم تفعلي.

وجدت نفسها تبتسم رغماً عنها.
- لكنني أخشى أن يفتقدني.
- هاي... ريا.
نظرت إلى الخلف فرأت دايفد سيرتغ ينظر إليهما باستغراب.
- نحن جاهزون.
هزت رأسها:
- حسناً... أنا قادمة.
خلعت السترة، وأعطتها لپاول.
- شكراً لك.
وقف يراقبها وهي تعود إلى الأستديو لا تلوي على شيء لكنها كانت تعي نظراته المثبتة عليها، فاقشعر جسمها من التوتر.
مرت ساعة أخرى قبل أن يرضى دايفد عن أدائها، وكانت قد أصبحت متعبة، ورفعت يدها تدلك رقبتها وهي تتجه إلى الباب... فسألها دايفد:
- أتودين مرطباً ريا؟!
قدم لها زجاجة كولا باردة، أما الآخرون فكانوا يشربون ما اختاروه بأنفسهم... بعد قليل نظرت إلى ساعتها وهزت رأسها قائلة:
- سيأتي رينيه ليصطحبني بعد دقيقة... كانت موسيقى رائعة. شكراً لكم جميعاً. تمتعت بها!
رفع الجميع أيديهم مبتسمين، ثم عادوا إلى نقاشاتهم. عندما خرجت إلى هواء الربيع البارد، كانت الشمس قد غابت داخل سحابة فارتجفت تنظر إلى السماء. لكن سرعان ما خرجت الشمس من تلك السحابة، شاحبة وكأن قطرات من الرطوبة تتقطر



منها... أغمضت عينيها تتمتع بحرارة الشمس من جديد ولكنها أحست بسيارة تقف إلى جانبها وباب السيارة يفتح لتدخل. وكان أن دخلت مبتسمة، ثم صفقت الباب وراءها، واستدارت لتنظر إلى رينيه.
لكن السائق لم يكن رينيه... تسمرت للحظات بلا حراك ثم حاولت الخروج. ولكنه كان قد انطلق بسرعة:
- ماذا تظن نفسك فاعلاً.
لم يلتفت إليها، فعضت شفتها، ثم قالت:
- سيصيب رينيه الذهول إن لم يجدني!
- فليذهل، ويتساءل.
- لا يمكنك فعل هذا!
- راقبيني أفعل إذن.
وابتعدت السيارة الكبيرة الفخمة، فغاب الاستديو عن نظرها... أمام إحدى الاشارات توقفت.. فسارعت ريا تحاول فتح الباب لتخرج. ولكن الباب لم يتحرك.. فقال لها:
- كل ما في السيارة يتم آلياً.
فتكورت ريا نحو الباب مشحونة بالغضب والامتعاض.
- لا يمكنك خطفي هكذا! ألا تفهم أنني لا أريد أن أتعرف إليك.
- بل فهمت هذا.
- اذن، لماذا؟.
- هناك شيء واحد تجابهينني فيه دائماً هو الرفض وفي الواقع أنت لا تعرفين شيئاً مهماً عني. فأنت لا ترفضينني أنا... بل ترفضين أي نوع من الالتزام مع أي كان، لذلك لن أستسلم قد

تعطين نفسك بالثلج ولكنني أحب أن أرى تأثير بعض الحرارة عليك.

انكمشت يداها بقبضتين صغيرتين:

- ما أشد جرأتك!

ضحك:

- اجلسي كما أنت وتمتعي بالمناظر.

- لن أتمتع بشيء.

- سنرى.

أسندت نفسها إلى المقعد، تراقبه يمسك المقود بين أصابعه المديدة القوية.

- إلى أين تأخذني؟.

- مفاجأة.

تمتمت.

- قل هذا إن شئت ثانية

فضحك: حين تتعرفين إلي أكثر...

- هذا إذا تعرفت إليك.

رد بإصرار:

- بل ستتعرفين إلي لأنني إن عقدت النية على شيء وصلت إليه.

جلست مستقيمة وعيناها تلمعان غضباً:

- حتى نابوليون هُزِم في واترلو.

- لكنك لن تكوني واترلو بالنسبة لي ريا.. في هذه اللحظات لا أدري ما ستكونين ولعل هذا ما يجعل الأمر غامضاً. أنت تحدٍ لي، وأنا أتمتع بالتحديات. فلن أشعر بالإثارة إن حصلت على



ما أريد بسهولة.

- لكنك لن تحصل عليّ بسهولة أو بصعوبة.

- أتحبين الريف؟.

نظرت إلى ما حولها فرأت أنهما خرجا من المدينة باتجاه الضواحي لكنها لم ترد، فانتزع يده عن المقود ليمرر أصابعه على كتفها مداعباً... لكن ردة فعلها كانت غاضبة فصفعته على يده وارتدت حتى الباب:

- ابعد يديك عني!.

قال ببرود:

- أجيبيني اذن.. وتوقفي عن العبوس.

نظرت إليه بغضب قاتم:

- عندما تطأين أرض معركة يا ريا تأكدي دائماً أن أسلحتك مناسبة لها. أنا أقوى منك لذا لن تفلتي مني فاخرجي اذن من قوقعتك. وحاولي أن تكوني لطيفة معي.

لم ترد عليه.. كان وجهها شاحباً بسبب شعورها بأصابعه على وجهها، وتعاظم ارتباكها لهذا التهجم المتعمد منه، وسألها:

- هل عشت في لوس أنجلوس طوال عمرك؟.

- أجل.

- أين تعيش عائلتك؟.

- ليس لي عائلة.

- أليس والداك على قيد الحياة؟ ماذا حدث لهما؟

تجنبت الرد، وفاجأته بسؤال مماثل:

- وماذا عنك؟ هل والداك على قيد الحياة؟

- مات والدي منذ عشر سنوات.. ولكن والدتي ما تزال

قوية. وستبلغ السبعين هذه السنة. ولكنها تقود طائرتها بنفسها وترعى اسطبل السباق بنفسها. وهي مؤمنة أنها بهذه الطريقة ستبقى شابة، وبسبب انشغالها الدائم بخطط السباق للموسم التالي نسيت إلى أي حد كبرت.

وجدت ريا نفسها تضحك:

- ألديك اخوة أو اخوات؟.

- اختان.. وأنت؟.

تلاشت بسمتها واشاحت بوجهها:

- لا.. هل أختاك متزوجتان؟.

- نعم وهما في انكلترا. الكبرى باتريسيا، لها صبيان والصغرى جوزفين التي لديها فتاة صغيرة، أمي فخورة لأنها أصبحت جدة.

- لكنك لم تتزوج؟.

- بل.. تزوجت مرة.

أحست بالدهشة.

- وهل طلقتها؟

- بل ماتت.

التفتت إليه لتراه ينظر أمامه متجهماً، ويكمل:

- كان هذا منذ زمن طويل.

- حادثة؟

- ماتت وهي تلد.

أجفلت ريا:

- آسفة... والطفل؟

- مات أيضاً.



في صوته نبرة خشنة، فامتنعت عن قول شيء فترة قصيرة قاد خلالها السيارة وعيناه على الطريق والكآبة في عينيه. من الواضح أنه ما زال يعاني فلم يتغلب على حزنه على ما يبدو. متى حدث هذا؟... وسألها:

- هل رغبت دائماً أن تكوني مغنية؟

استرخت قليلاً وتنهدت:

- منذ وعيت على الحياة انتظرت طويلاً حتى وصلت إلى ما أنا عليه ولكن لا يمكن للمرء أن يتأكد من نجاحه، وعليه المثابرة للمزيد من التقدم.

نسيت مع من تتكلم، فقد غرق تفكيرها في موضوع تحبه.

- وكيف التقيت بمديرك؟.

- كنت أغني في مقهى مع هواة فلما سمعني رينيه أعجبه ما سمع.. كنت يومذاك جيدة إنما هشة ضعيفة وسيئة الحال أيضاً.

ابتسم:

- لكنه رأى النجومية تلمع فوق رأسك فسعى إليك.

- أعتقد هذا. كنت مهملة، لا أعرف أصول الغناء، لكنني كنت بارعة بطريقة ما.

- كم كان عمرك؟.

- سبعة عشر عاماً.

- وما كان رأي أبويك بعالم الأضواء.

- لم يسألهما أحد رأيهما.

- وهل تركت المنزل هكذا دون كلمة وداع؟.

ضحكت بخشونة:

- المنزل؟ لم يكن لي منزل قط سيد مايسون، أو حتى أبوين

أو اسم... وجدت في الشارع مقمطة وعمري لا يتجاوز بضع ساعات ومرت الأيام ولم يتقدم أحد يسأل عني.

ران صمت ثقيل، والسيارة تسعى بسرعة بين حاجزين من الشجيرات الكثيفة. كانت السماء فوقهما زرقاء شاحبة وكان على جانبي الطريق حقول ممتدة إلى البعيد، وكانت ريا ترتجف. إنها تكره الكلام عن ماضيها، تكره ذكرى السنوات التي سبقت لقاءها بربنيه... لذا كانت كلما ذكرت بدايات حياتها تصاب بالغثيان.

واستدارت لتنظر إلى باول مايسون:

- أترى سيد مايسون... ليس بيننا شيء مشترك. أنت تعرف من أنت، ومن أين أتيت وإلى أين تنتمي، أنت واثق من هويتك. أما أنا فلا أعرف شيئاً عن نفسي.

أوقف السيارة على جانب الطريق فذعرت ريا:

- لماذا توقفت؟.

لم يرد، بل دس يده في جيب سترته الداخلي، وأخرج علبة ذهبية، فتحها وأخرج سيكاراً رفيعاً طويلاً. وضغط على زر في واجهة السيارة، فانفتحت نافذته بنعومة.

أشعل السيكار ونفض دخانه إلى الخارج.

- أنت تعرفين عن نفسك بقدر ما يعرف أي منا عن نفسه.

ضحكت بغضب.

- وماذا تعرف عن هذا؟ أنا من عالم مختلف عن عالمك. لا أعتقدك قادراً على تقديم فتاة مثلي إلى أصدقائك، وإلى عائلتك.. فما إن يسألوا من أنا ومن أين أتيت حتى تجد نفسك أمام هوة سحيقة تفغر فمها في وجهك. فللناس طريقتهم في تصنيفك وفي وضعك في مكانك الصحيح، خاصة الأثرياء ممن تنتمي أنت إليهم.



- يا لتكبرك!.

احمرّ وجهها:

- لا تكن سخيفاً! فمن أنا حتى أتكبر؟ وماذا عندي؟

- وماذا عندي أنا لأتكبر؟

التقت أسنانها وقالت من بينهما:

- لا حاجة بك إلى شيء لتكون متكبر.

- وأنت بحاجة؟.

- لم أقل هذا، فلا تتلاعب بوجوه الكلام.

- بل أحاول تفسيرها... ألهذا قطعت نفسك عن إقامة علاقة حقيقية مع أحد؟.

- بل لدي الكثير من العلاقات الحقيقية! لدي عشرات من الأصدقاء، لكنهم جميعاً من عالمي، موسيقيون ومغنون.. إنهم من النوع الذي يتقبلني دونما سؤال.. إنهم يقبلون بي على ما أنا عليه.

- اذن، تعرفين من أنت؟ ريا ايفرت إحدى أنجح المغنيات في البلاد إحدى أجمل الجميلات وأشدهن اثارة وموهبة. لا أحد يهتم ابنة من تكونين؟ أو من أين أتيت؟.

ضحكت بحرارة:

- لا أحد يهتم؟ إذن لماذا سألتني عن هذا؟ لقد التقينا منذ برهة ومع أنك تعلم أنني ريا ايفرت، وأنني مغنية طرحت ما طرحت من أسئلة. كنت تحاول أن تصنفني بأسئلتك، وأن تضعني في مكاني الصحيح!

رمى باول سيكاره من النافذة بطريقة غاضبة، واستدار إليها:

- كنت أحاول اجراء اتصال معك، أردت أن أفهمك، أن أعرف سبب جمودك من الداخل. . واعتقدت أنني قادر على أن أصل إليك ببطء وأن أعرفك. . لكنني أرى أني اخترت الطريق الخاطىء.

- لا أريد أن تتقرب إلي بأي أسلوب كان.

- أوضحت هذا تماماً.

- إذن، لماذا لا تفهم الرسالة! فتدير هذه السيارة وتعيدني إلى حيث أنتمي على أن تبقى بعيداً، أعني في المستقبل.

استقرت عيناه الرماديتان على عينيها، واتسع ناظراه والتمعا وأصبح تنفسه مسموعاً في هدوء الريف. . وأحست ريا بالانذار البارد، قبل أن تمسك يداه ذراعيها لتجذباها إليه. . حدث هذا بسرعة كبيرة فلم يكن أمامها فرصة تجنبه. فانفرجت شفتاها بآهة احتجاج.

فيّر باول وضع عناقهما فتسللت يداه إليها تجذباتها أكثر فأكثر إلى أحضانه. فوضعت يداها على صدره، ترفعه بعيداً ولكنه لم يتأثر. وأحست بحركة يديه الدافئتين على شعرها الأحمر اللذي راحتا تجولان فيه قبل أن يشدها بلطف ويرجع رأسها إلى الوراء. . كان قلبه تحت أصابعها يخفق خفقات سريعة وكانت حرارة بشرته تحت القميص تزداد وتزيد احساسها به. فراح تفكيرها يدور بمزيج متفجر من الخوف والإثارة، لكنها توقفت عن الاحساس بوجوده تماماً، فقد انشغلت مشاعرها في صراع داخلي مع احاسيسها الداخلية.

إنها المرة الأولى التي تشعر فيها بهذه الأحاسيس خارج المسرح، كانت حدة الأحاسيس القادرة على إظهارها خارجية في



الماضي. . ولكن جسمها كله الآن أصبح ميدان معركة أثارتها أحاسيس مجنونة قاومت بحرارة لتسيطر عليها.

تلوّت برعب متعمدة ترد رأسها إلى الوراء مطلقة صرخة احتجاج، لتتخلص منه. فتركها وعاد مستوياً إلى مقعده يسحب أنفاساً سريعة ووجهه قاتم. فوضعت ريا يديها المرتجفة على وجهها، تهتز من المشاعر التي أحست بها لتوها. . . وكان الصمت بينهما كجدار أسود.

بعد وقت طويل تحرك فشغل السيارة ثم انطلق بها نحو ممر صغير رجع بها إلى الوراء ثم عاد إلى الطريق الذي سلكه من قبل أما ريا فتركت وجهها مغطى بيديها. . . وكانت في تلك اللحظة تكرهه وتكره نفسها بسبب ردة فعلها، وحين رفعت يديها عن وجهها أخيراً وجلست كاشفة الوجه كانت تعرف أنه لا ينظر إليها.

حالما دخل إلى لوس انجلوس ثانية قالت له بجفاء:

- هل لك أن تنزلني أمام مكتب رينيه. . . أرجوك؟.

لم يرد. ولكن، بعد عشر دقائق، توقف خارج المكان، فوضعت يدها على مسكة الباب.

- ريا. . .

- أتسمح بأن تفتح هذا الباب؟.

ظنته هنيهة سيرفض ليجبرها على الاصغاء إليه ولكنه رد ببرود:

- إنه مفتوح.

وصفقت الباب وراءها، وانطلقت بسرعة ولكنها سمعت السيارة تنطلق قبل أن تدخل إلى المبنى الذي يضم المكتب.

* * *

## ٤ ـ الغضب البارد

لم تكد تدخل المكتب حتى استشاط رينيه حنقاً وغيظاً:

ـ ماذا جرى لك؟ قد رابني نبأ ذهابك أنت وباول مايسون.

ارتمت متهالكة على مقعد جلدي، قرب طاولته:

ـ لقد اختطفني.

ـ ماذا؟

ـ أخذني من أمام الأستديو في نزهة بالسيارة.

ـ وهل أنت بخير؟ هل مسك بسوء؟.

بانت نواجذها عن تكشيرة.

ـ وهل ظننتني لقمة سائغة سهلة المنال؟ لم أرجو منك أن تبعده عني فإني غير راغبة في رؤيته مجدداً.

ـ لك ما أردت يا طفلتي! لكن هل حاول...

قاطعته بحدة:

ـ عانقني وحسب ولم أمكنه من غير ذلك ولا أريد لهذا الأمر أن يتكرر.

هدأ بال رينيه، وابتسم ممازحاً:

ـ لا يفوتهم أن يلعبوا حظهم.. أليس كذلك؟

ـ إنه كذلك في كل مرة.

بدأ يضحك.

ـ عيبك أنك على حظ عظيم من الفتنة والاغراء. ولكنه لا يقلّ



عنك فتنة واغراء، أفلا تشعرين بانجذاب إليه ولو قليلاً؟

ـ لا...

كان ردها حاسماً، لكن بين حنايا أضلعها قلب خافق لو نطق بما فيه لافتضح أمر انجذابها إلى باول مايسون. وهي إذ تصب جام غضبها على باول مايسون لمحاولته عناقها فإنما تدفع بمشاعر الكراهية نحوه ولا سيما أنها تأنف أن تعترف بما كانت عليه مشاعرها الحقيقية عندما أخذها باول بين يديه.

كان رينيه يهز ساقه وهو جالس على حافة طاولته، محدقاً إليها:

ـ تبدين شاحبة متعبة وكأنك على وشك الانهيار. كانت جولي تقول بالأمس إنك بحاجة إلى عطلة، وأعتقد أننا جميعاً بحاجة إليها.

انثنى فوق طاولته ليلتقط دفتر المواعيد الكبير الجلدي، ثم أخذ يقلّب صفحاته، وعلى وجهه ارتسمت علائم التفكير. ثم قال:

ـ ما من مجال لعطلة حتى بضعة أسابيع. فالأيام القادمة زاخرة بالمواعيد والحجوزات وذلك حتى شهر حزيران. ولكن لو استطعت ايجاد فرصة أسبوعين في منتصف الصيف لتمكنا من قضاء عطلة في مكان فيه دفء وهدوء وشمس.

ـ ظننتني في شغل حتى نهاية السنة.

ضحك رينيه:

ـ هذا صحيح حبيبتي، لكنني قادر على تأخير مواعيد الأسبوعين الأولين من حزيران، حتى آخر السنة. فخلالهما من المفترض أن تسجلي بعض التسجيلات ولكن يمكن أن نؤجل هذا

إلى شهر كانون الأول. فلن نحتمل أن تنهاري من كثرة العمل، أليس كذلك؟ كل هذه المؤسسة قائمة على أكتافك.

ردت وهي تبتسم ابتسامة، تنمّ عن سخرية:

- أووه... وهذا ما يجعلني أحس بالعظمة.

أقفل دفتر المواعيد، ووضعه من يده، ثم أقبل ووضعها على ركبته كما يضع الأب المخلص ابنه.

- يجب أن نعتني بك، وبهذا ستكف لسان جولي عنّي فهي تلحّ علي منذ أشهر لأعطيك هذه العطلة.

أخذها معه بعد ساعة إلى المنزل في باسادينا، حيث تقدمت جولي من الحديقة وتفحصتها بنظرات تؤكد أن ربيه أخبرها بما حصل، فابتسمت ريا، ثم دخلت إلى المنزل، فلحقتها جولي إلى غرفة النوم، حيث وقفت تستند إلى الباب:

- هل أنت بخير؟

- أجل.

- قلت لك إنه سيلاحقك.

- أتسرّين لو تبين لك أنك على حق؟.

- وهل ضايقك؟

ضحكت ريا ضحكة لا مرح بها:

- ما هذا السؤال؟ لم يفلح - على كل حال - في محاولته التمادي في ازعاجي ونيل مأربه.

قطبت جولي جبينها تراقبها:

- أعتقد أنك تعرفين ما أنت فاعلة.

هزت رأسها.

- أعرف.



- كثيرات هن النساء اللواتي يرتمين بنظرة منه عند قدميه.

ردت ريا ساخرة.

- ما في ذلك شك، لقد قلت أنت إنه يهوى جمعهن.

- هذا ما يقال.

- بعض الرجال يجمعون طوابع بريدية وبعضهم يجمع النساء، ولست طامعة أن أكون فيمن يجمعهن.

قالت جولي ببطء:

- ربما تتصرفين بحكمة.

- واثقة من هذا.

هزت جولي كتفيها:

- حسناً... سنتناول العشاء الليلة عند السيد دانفرز، فلا تنسي! وأظن أن من الأفضل أن ترتدي الثوب الأبيض ذا الحزام الذهبي المجدول.

خرجت جولي، مغلقة الباب وراءها... لم تكد ريا تخلو بنفسها حتى وضعت فرشاة الشعر من يدها بعنف، وأحنت رأسها بين يديها المرتجفتين، وأحست بالدم يندفع بألم في شرايينها، ولم تستطع أن تكبح جماح قلقها.

لقد كان في كلام جولي اغراء شديد، وقد استبسلت في مقاومة الفكرة التي عرضتها، فهي تخشى على نفسها من الدمار إن انقادت وراء مشاعرها. هذا ما تعلمته في ريعان صباها.

كان ميتم الأطفال حيث نشأت بإدارة راهبات متشددات يؤمن باللطف والدقة إنما مع الحزم والنظام. كانت الفتيات فيه يتبعن نمطاً لا يتغير فمن الغدو باكراً إلى كنيسة المدرسة إلى صلوات أخرى خلال النهار. وكانت حياتهن هادئة مملة ومثقلة

بالواجب.. ما إن تمكنت ريا من التخلص القانوني من هذا الفراغ حتى وجدت لها الراهبات وظيفة في شركة محلية، وغرفة خاصة لها في منزل عائلي حيث وعدت الزوجة بأن تحسن مثواها.

لكن القدر كان لها بالمرصاد فسرعان ما استرعت انتباه الزوج ولم تستقر بها الحال بضعة أسابيع حتى فوجئت ريا بالزوج وقد هجم عليها محاولاً الاعتداء عليها وافتراسها، يومذاك قررت ترك تلك الضاحية المملة من مدينة توسن، من ولاية اريزونا والانتقال إلى لوس أنجلوس حيث تقلدت فيها وظيفة.

عملت في أحد المصارف، ووجدت غرفة في منزل قذر وبقيت فترة على رغم استقرارها، حذرة من أخطار المدينة.

لكن أخذت نفسها الثائرة تهدأ رويداً رويداً ثم تآلفت هي وفتيات المصرف فقدمتها احداهن إلى أخيها، الذي كان يعزف القيثار، ومنه التقت بالموسيقين الهواة الآخرين الذين بعدما أدركوا أنها قادرة على الغناء أخذوا يصطحبونها وأخذوا يجنون المال من ورائها ولكنه لم يكن ثروة ولو عملوا كل ليلة لأمنوا لكل منهم مالاً أكثر مما قد يجنونه في مكتب وكانت في الفترة التي سبقت لقاءها برينه قد تعلمت من خلال أحداث متعددة أن تتقي كل من تلتقيه من رجال.

علمت أن لها جاذبية جسدية تترك أثراً مباشراً في الجنس الآخر.. فحينما كانت تغني، كانت تنصرف إلى الموسيقى ناسية كل شيء ولأنها كانت تغني بشكل مثير كانت تترك في من يسمعها من الرجال آثاراً لا تمحى من الاثارة.

غير أنها لم تفهم أمر تأثيرها في اسماع الرجال وأفئدتهم إلا بعد أن أقنعها رينه الذي أزعجته كوابيسها، فارتأى أن تزور طبيباً



نفسياً. وكان أن راحت تقصد طبيباً ظلت تواظب على جلساته أشهر حتى ألحت ريا عليه فاعترف بعد أن كشف جذور مشكلتها النفسية أنه لا يقدر على فعل شيء سوى أن ينصحها بأن تحاول الخروج من ماض مضطرب وحاضر مزعج إلى مستقبل تكون فيه راشدة أتم الرشد.

ـ وكيف أفعل هذا؟

ـ آه... هنا السؤال.

ـ وهل لديك الجواب؟.

هز الطبيب رأسه:

ـ يجب أن يخرج منك الجواب.

قررت عندها ألا تدفع بعد اليوم مالاً لرجل يطرح عليها أسئلة لا يستطيع هو نفسه الاجابة عنها، ولكنها فهمت منه أنها كانت في طفولتها السوداء جائعة للعاطفة والحب، لذا حين يقترب منها رجل يثير في داخلها صراعاً قوياً بين جوعها للحب الذي لم تعرفه قط، وبين ريبتها البديهية من دوافع الرجل الذي يحاول التقرب إليها.

لذلك، كان باول مايسون الآن، واحداً من سلسلة طويلة من الرجال حاولوا تملقها ومداهنتها لتقبلهم. صحيح إنه رجل جذاب يريد اغواءها ولكنها لم تقبل بما يعرضه عليها.. فقد كان بامكانها أن تخوض مثل هذه المغامرة الغرامية في السنوات الماضية... إنها تريد شيئاً خطيراً يرضي نفسها، وهذا ما لن يتمكن من تقديمه.

طرقة جولي على الباب جعلتها تقفز من مكانها:

ـ هيا ارتدي الثياب، لئلا تتأخر على العشاء!.

صاحت بها هي:

ـ أيتها المستبدة!

جوشوا دانفرز صاحب شركة ضخمة للتسجيلات ورئيس مجلس ادارتها وهي شركة ارتبطت معها ريا بعقد مدة خمس سنوات وقد تم التوقيع على العقد منذ سنتين ونصف، حين كانت مغمورة تقريباً. حينذاك بدا لها العقد معجزة نزلت عليها من السماء.. لكن منذ أصبحت نجمة كبيرة، أخذ رينيه يحاول اعادة التفاوض في شروط العقد.

شق رينيه بالسيارة طريقه إلى بيفرلي هيلز عبر شوارع لوس أنجلوس المكتظة، وكان يرشدها طوال الوقت إلى طريقة التصرف مع السيد دانفرز:

ـ إنه رجل قصير مراوغ... يبدو كبابا نويل ويتصرف تصرف ولد مراهق... فراقبيه مراقبة الصقر لفريسته.

قالت جولي:

ـ لا تريدك لقمة سائغة.

ضحكت ريا:

ـ هل له ميول مصاصي الدماء؟

صاح رينيه مذهولاً:

ـ أو تسألين؟ إنه يشرب كثيراً يومياً من دماء غيره، وإلا من أين له هذه القوة؟ تجارته الجاهزة بسمة لطيفة، لكنها لا تتجاوز فمه لذا استتري بالجهل تأمني جانبه.

ـ لو طلب منك أن تشربي العصير، قولي له إنك ستسألين رينيه أولاً. المبدأ الأساسي أنك تجهلين كل شيء.

ضحكت ريا:



ـ كأننا ذاهبون إلى ميدان حرب لا إلى عشاء!

صاحت جولي:

ـ قد فهمت!

يسكن جوشوا دانفرز في منزل فخم في ضواحي بيفرلي هيلز.. والمنزل يختبيء وراء سور مرتفع تحيط به حدائق غنّاء واسعة. حين أدخلوا إلى المنزل، وقفت ريا تنظر إلى ما حولها بفضول.. فتح لهم الباب رجل مهذب يرتدي سترة سوداء، سارع يرفع سترتها الفرو عن كتفيها أما رينيه فكان يتأمل لوحة زيتيه صغيرة على الجدار القريب... وهمس لريا:

ـ أتعرفين ما هذه؟ انظري إلى براعة الرسام... لا شك أنه دفع ثمناً باهظاً لشراء هذه اللوحة.

قالت له جولي بخشونة وحدة:

ـ ابعد نظرك عنها.. من العيب أن تقدّر ما ينفقه الناس على ديكور منازلهم.

نظر إليها رينيه نظرة الجريح، ودنا من الأصوات القادمة من قرب الأبواب، لحقت به ريا وتبادلت مع جولي بسمة.

ـ لقد جرحت احساسه.

ـ لا احساس لديه، فهو مصنوع من المطاط الطبيعي، يقفز بخفة حين ترمينه بعيداً عنك.

ـ وهل تشاجرتما؟

ترددت جولي قليلاً:

ـ كنت أقول له إنه لم يبدِ ذكاء في مسألة باول مايسون. لقد رماك بين ذراعيه حينما دعاه إلى العشاء، وما هذا إلا بسبب ولعه بالمال.

عبست ريا:

ـ ألا يمكن أن ننسى الموضوع؟ لا أريد التفكير في ذلك الرجل ولا رؤيته ثانية، كما لا أريد أن تتشاجرا من أجله.

تقدم السيد دانفرز يصافح ربيه، قبل أن يستدير إلى ريا قائلاً بصوت مرح دافىء:

ـ وأخيراً التقينا ريا! لا أعرف لِمَ لم نلتقِ من قبل! كنت أستمتع بغنائك منذ زمن لذا من الغريب أننا لم نلتقِ سابقاً. كانت حفلتك رائعة ذلك المساء بيعت فيها جميع التذاكر! ستطرح التسجيلات في الأسواق في أقرب وقت ممكن... صدقيني.

ردت ريا بحماسة:

ـ هذا عظيم.

تقدمت منها جولي تخزها بشكل غريب في خاصرتها وأومأت بعينيها إيماءة لم تدرك مغزاها. وسمعت السيد دانفرز يقول وهو يقدم سيدة مبتسمة:

ـ ريتا عزيزتي.. هذه نجمتنا.

صافحت المرأة ريا بحرارة، وقالت لها إن لديها كل تسجيلاتها... ولكن جولي تقدمت نحوَ ريا، وقد بدا عليها كرب حقيقي أما السيدة دانفرز فكانت تشرح لريا أي نوع من الأغاني هي المفضلة عندها لكن ريا سارعت للنظر إلى جولي مستغربة فلم تتلقَ منها سوى استدارة يائسة جعلتها تنظر في الغرفة بحثاً عمن أفزع جولي.

لم يكن عليها إمعان النظر ففي الغرفة التقت عيناها عيني رجل متكىء إلى جانب مدفأة أنيقة قديمة الطراز، فأحست ريا بنياط قلبها تتقطع داخل ضلوعها.



أمسك السيد دانفرز بيد ريا وقادها بين الضيوف يعرفها إليهم. كانت تعرف معظمهم لذا توقعت حفلة مملة... ولكنها لم تكن مستعدة لرؤية باول مايسون هنا فجهدت أيما جهد لتحافظ على إبتسامها.

حين وصلا إليه، كان غارقاً في التحدث إلى امرأة أحست ريا أنها تعرفها أو رأتها من قبل. توقف السيد دانفرز لينظر إلى باول نظرة أبوية:

ـ أخبرني باول أنكما تقابلتما من قبل، لكنني أعتقد أنك لم تتعرفي إلى الآن على دوريس. إنها ابنة أختي.. دوريس جاريت وهي مصممة رسوم المنسوجات، وتصميماتها تباع في جميع أنحاء العالم. إنها موهوبة.

إبتسمت المرأة البنية الشعر، وهي تمد يدها إلى ريا:

ـ أنا قادرة على فتح أبوابي بنفسي خالي.

تجاهلت ريا نظرة باول الكئيبة وسألت:

ـ أي نوع من الأقمشة تصممين؟.

رد السيد دانفرز:

ـ قماش الستائر.

فنظرت إليه ابنة أخته ساخرة، وقالت شارحة:

ـ أقمشة أثاث المنازل على مختلف أنواعها، الكتان والأقمشة المصنوعة يدوياً... أنا من صممت ذلك القماش الذي تريته فوق نوافذ منزل خالي.

التفتت ريا فلمّا رأت ذاك القماش أعجبت حقاً بالقماش الأزرق المزين بنقوش وردية هي رسوم لطيور وورود وقد جاءت جميعها في قالب رائع.

- إنه جميل جداً! أنت فعلاً موهوبة. فما هو مصدر وحيك ومهبط الهامك.

- هذه الستائر استوحيتها من لوحة فنان ايطالي. وخالي خبير باللوحات. أضيفي إلى ذلك أنه خبير في تضليل الناس.

ضحك الخال والتفت إلى ربا المبتسمة:

- هل أشكرها على هذا الاطراء؟ ما من رجل يبدو بطلاً في نظر من يحب، خاصة ابنة أخته.

- لا يا خالي. لست عندي من الابطال.

تمتم لربا وهو يبعدها:

- دعينا لا نسأل أين يمكن أن تصنفني. فهي لا تتورع عن قول ما تفكر فيه وهذا ما لا يعجبني. فهذا يفضي أحياناً إلى الاحراج، وهذا مرده إلى دخولها إلى كلية الفنون التي تغرس في رؤوس طلابها أفكاراً بوهيمية.. أذهبت إلى كلية الفنون ربا؟

- لا.

- فتاة عاقلة، فالناس يقضون سنوات في الدراسة وبعدها لا يجدون وظائف.

كان يجرها وراءه بسهولة ليعرفها إلى ضيوفه. وفيما كانت تصغي إلى أحاديث تتداولها جماعة من الناس اختلست النظر إلى باول القابع في الغرفة فوجدته ينظر إليها نظرة باردة عندما أشاحت بوجهها عنه. كان ما يزال مع دوريس جاريت.. يبدو أنهما صديقان.. لكن أين شاهدت دوريس من قبل؟ عندما جلس الجميع إلى المائدة تذكرت.. إنها المرأة ذات الثوب الأحمر التي كانت مع باول في الملهى عندما التقيا أول مرة. بدا لها جميع



الحاضرين من الأثرياء، ولكن باول مابسون بدا من طينة مختلفة وهذا ما جعلها تسأل: ماذا يفعل هنا؟

وهو سؤال كان يعذّب رينيه وجولي كما اكتشفت فيما بعد حين اختليا بها قليلاً بعد العشاء.

- أهو هنا للمتعة أم للعمل؟

تمتمت جولي متجهمة:

- ربما للسببين معاً.

وقالت ربا:

- أحياناً أعتقد أن ليس في عقليكما سوى الشك. وأراهن أنكما تنظران تحت السرير قبل أن تناما!

- كسبت الرهان، فأنا أتمنى دائماً لو أجد رجلاً هناك.

ضحكت جولي، فقال رينيه وهو يغمز ربا:

- لا تقلقي عزيزتي، سأحميك منه.

ردت عليه بطريقة حزينة:

- وهذا ما أخشاه.

تقدم منهما السيد دانفرز مجدداً ليأخذ رينيه:

- تعال أريد رأيك بلوحاتي يا عزيزي.

تمتمت جولي:

- من الأفضل أن تراقبهما. فقد يقنعه جوشوا دانفرز بأن تغني له مجاناً.

ما كادت ربا تتأهب وتلحق بجولي، حتى أمسكت يد بمرفقها، فرفعت وجهها ثم شهقت. قال باول مابسون: «أتحاولين تجاهلي؟»

- أوه.. مرحباً.

- كنت تنظرين إليّ بلا أدنى اكتراث أثناء العشاء.

تأكدت الآن من قسوة لهجته، فألقت عليه نظرة مباشرة، ولكنها سرعان ما أبعدت عينيها.. فوجهه يحمل أكثر من البرودة... وإن لم تكن مخطئة.. هناك خطوط قاسية حول فمه وتوتر غاضب في أعماقه جعلها تشعر بأنها اتخذت لنفسها عدواً شرساً اليوم.

* * *



## ٥ - الآباء يأكلون الحصرم

ردت ربا بصوت مضطرب:

- لا أعرف عما تتكلم.
- أوه... ربا، تعرفين حق المعرفة. أنا لا أحب أن ينظر إليّ أحد بلا اهتمام كما فعلت أنت هذا المساء.
- تتراءى لك الأمور.
- لا تتراءى لي.
- إن لم تتكلم حتى الآن فالسبب هو الصدفة.

التوى فمه بوحشية.

- لا تقولي هذا ربا.. حينما اصطحبك جوشوا تحدثت إلى دوريس، وتظاهرت أنني غير موجود.
- وهل تعرف جوشوا دانقرز جيداً؟
- تغيرين الموضوع؟
- لم أتوقع رؤيتك هنا...
- أنا واثق من هذا.. وإلا لاتخذت الصداع حجة لتتهربي من السهرة.
- لا أصاب بصداع وأنا أحافظ دائماً على المواعيد العملية.
- وهذا ما هي عليه هذه الحفلة؟

ابتسمت:

- صحيح.. وهؤلاء الناس ليسوا من طرازي كما تعرف

لا... ليسوا من طرازي أبداً..

- وما هو طرازك؟.

- موسيقيون، مغنون . . . أشخاص يمتهنون المهنة نفسها، فأنا أبقى دائماً في منطقتي الخاصة سيد مايسون.

- أليست هذه منطقة محدودة؟ هذا إذا لم أقل جبانة. . إن رفضت القيام بعلاقة حقيقية ذبلت من الداخل ريا. . ففي كل مرة ترفضين الفرصة، تنكرين فيها أنك حية، وفي النهاية لن تبقي حية بل ستغدين شبحاً يسير على قدمين.

استدارت مبتعدة:

- اصمت! لا أريد أن أصغي إليك؟.

لكنها أحست بيده تمنعها وتشدها إليه دون جهد.

- عاجلاً أم آجلاً ستصغين إليّ. . . وسأتأكد من هذا بنفسي، فأنت جبانة صغيرة مذعورة ريا.

- أنا لست كما تصف!.

- يا إلهي. . . رأيك بنفسك مزرٍ حقاً.

ردت ساخرة وبحدة:

- لا أظن أن رأيي بنفسي هو ما يزعجك. . . بل رأيي فيك!.

- وما هو؟.

كادت تتراجع عن الرد ولكن شيئاً في تحديه جعلها ترفع رأسها بشموخ، لترد:

- أعتقد أنك رجل حصل دائماً على ما يريد، حتى أصبح يؤمن أن له الحق بمد يده إلى كل ما يشتهيه.

- ساحر. . . اكملي

- ألا يكفي هذا؟.

ضحك بغضب وبصوت منخفض:



- بل يزيد. ولكنني أرى من قسمات وجهك أن هذا ليس كل ما ترغبين في قوله. لذلك هيا. أمضي في حديثك.

ابتسمت له بعذوبة:

- سيد مايسون. أشعر أننا نلعب لعبة ايجاد الحقيقة ذاتها! إنما مع اختلاف خطير.

- الحقيقة دائماً خطرة.

- إذن لماذا تتحرش بها؟.

- لا أتحرش عادة بها. لو أدركت أنني لم أعجبك لابتعدت دون أن أنظر خلفي.

- لماذا لا تفعل ذلك؟.

- لأنني أريد أكثر مما تسمح لي نفسي بفعله.

كبحت شهقة ذهول، وأخفضت عينيها. . . أردف بعذوبة فائقة.

- ولأنني كلما رأيتك أدركت أنك متجمدة منذ سنوات، وانك موضوعة في ثلاجة دون أن تدركي ذلك ولكنني شاهدتك تغنين فعرفت أنك لا تملكين فقط البرودة فتحت الثلج هناك رغبات كثيرة لا تعرفينها أنت. . . وأنا أريد هذه الرغبات. . أريد أن أكون من يذيب الثلج ومن يطلق سراح مشاعرك المشتعلة الحارقة.

ارتجفت ريا. . تنظر إلى ما حولها ممتقعة احراجاً خشية أن يراها أحد. ولكنها التقت بعينيّ دوريس، فسارعت إلى النظر نحو باول هامسة:

- اصمت! ماذا تظن نفسك فاعلاً؟ تحدثني هكذا أمام هؤلاء الناس جميعهم؟.

- إذا كان هذا لا يعجبك فاعطني فرصة لأتكلم معك على

الغداء.

صاحت به: «لا».

- لن أبتعد عنك ريا، ولن استسلم.

- ستضيع وقتك سدى.

لا أظن هذا. لقد شجعتني على ما أفعله الآن.

- لم أفعل هذا!.

- أوه.. بلى.. حين تعانقنا..

كسا احمرار شديد وجهها فاستدارت لتبعد وجهها عنه، فأكمل بنعومة:

- وهذا ما يثبت ارتيابي ويقطع الشك باليقين الرغبة موجودة فيك. وأنت لا تحتاجين إلا إلى رجل مناسب يستطيع اختراقها.

تمتمت حانقة:

- أو أنت ذاك الرجل؟.

- نعم.. أنا هو ولا يهمني كم يستغرق هذا من وقت، أو ماذا سأفعل لأحصل عليك. حالما صعدت المسرح تلك الليلة عرفت أن عليّ الحصول عليك. لقد أضرمت في المكان نيراناً، ولم أستطع رفع نظري عنك. قد تنكرين هذا. ولكن ما تقدمينه للناس هو الأحلام، ولقد قدمت لي حلماً بكل تأكيد لذا لن أكتفي حتى أجد هذا الجسد الجميل بين ذراعي. أريدك لي وستكونين يوماً ملكاً لي.

حين صمت، رفعت نظرها إليه ببطء وقالت بصوت أجش من الغضب:

- شكراً لتحذيري.

- لو كان لديك ذرة صدق، لاعترفت في قرارة ذاتك أنك غير



سعيدة، وكيف لك أن تكوني سعيدة؟ أنت لست حية أصلاً، بل لا تبدين على قيد الحياة سوى على المسرح وما ذلك إلا لأنك في تلك اللحظات فقط تجرؤين على إطلاق رغباتك الدفينة.

- أعتقد، أنه لم يخطر ببالك أن كل تكهناتك هي بعيدة عن الواقع؟.

بدا المرح على وجهه بعد سؤالها البارد:

- لا.

- إن لك مخيلة نشيطة سيد مايسون.

فابتسم بسخرية:

- اوه.. نشيطة جداً.

ردت بحدة:

- لا أريد إلا أن تبقى بعيداً عني.

- هناك رنة يأس في لهجتك.

أجبرت نفسها على النظر إليه ثانية.

- مسرورة أنا لأنك لاحظت هذا، فقد بدأت أتساءل ماذا أستطيع أن أقول لأنقل الرسالة إليك... سيد مايسون فلأبسط الأمر لك أنا لست مهتمة بك... ولم يحدث أن قفزت إلى أحضان أحد، ولن تكون أنت الاستثناء. هناك سيدات كثيرات مستعدات لما تريد. فلماذا تضايقني أنا؟ لماذا لا تتركني وشأني وترضى بواقع أنني لا أريدك؟.

استدارت عندما قالت آخر كلمة بغضب، وسارت نحو رينيه وجولي قبل أن يستطيع منعها... وكانا مع جوشوا دانفرز في الجانب الآخر من الغرفة.

ابتسمت لها جولي!.

- أتقضين وقتاً ممتعاً؟ هل أنت متعبة؟.

هزت رأسها مبتسمة فقالت جولي:

- أخشى أن نكون مضطرين إلى المغادرة سيد دانقرز... ريا بحاجة إلى الراحة.

- متعبة؟ تبدين منهكة! أنت تجهدها يا عزيزي رينيه..

- ستحظى باجازة قريباً.

قالت جولي:

- هذه أنباء جديدة لي. متى قررت هذا؟.

سأله جوشوا:

- هل ستصحبها إلى مكان مميز؟ إنها بحاجة للهدوء ولأسابيع تقضيها تحت أشعة الشمس.

ابتسمت ريا:

- يبدو هذا رائعاً.

- لديّ فيلا في برمودا... أقصدها أنا وريتا للهرب من كل شيء. فإذا أردت مكاناً خاصاً حقاً، فاستخدم منزلي الذي له شاطىء خاص، يبعدك عن المعجبين وملاحقتهم. سأتصل بك عزيزي.. سأتصل.

وربت على كتف رينيه.

فيما كانوا منطلقين بالسيارة في شوارع المدينة الصامتة قال رينيه:

- لم أنل وعوداً من الجشع العجوز، ألاحظتما هذا.. أسأله شروطاً أفضل لريا فيعرض علينا الفيلا في برمودا.

قالت ريا:

- إنها حفلة عشاء على أية حال. فماذا كنت تتوقع؟.



- كنت آمل أن يعترف بأن العقد لم يعد صالحاً.

كانت جولي قد خلعت حذاءها لتدلك قدميها فقالت:

- ما أشد تفاؤلك! قلت لك إنك ستضيع وقتك معه. فالعقد عقد ولا تتوقع أن تتخلص منه. أنا تعبة حتى الموت! لاحظت أن باول مابسون حشرك مرة أخرى.

التفتت إليها ريا:

- لم أستطع التخلص منه.

- إنه ثري مقرف، فهو لا يستسلم أبداً.

ارتجفت ريا:

- لا.

- لقد فضح لنا جوشوا الأمر الليلة... قال إن مابسون طلب منه دعوته، فعلى ما يظهر أنه ذكر أمامه أنك مدعوة فطلب منه على الفور أن يسمح له بالحضور.

قال رينيه:

- هناك ما يفزعني في هذا الرجل. دانقرز سيء نعم لكن مابسون أسوأ منه بكثير، وسأكون ملعوناً إن لم ألزم دانقرز بعرضه ذاك المتعلق بالفيلا. أراهن أنه لا يتوقع مني القبول.

تمتمت جولي متذمرة:

- لا أستغرب أن يقول الناس إن المرأة هي النصف الأفضل.

- ومن يقول هذا؟ النساء، بكل تأكيد.

كانت ريا خائفة لأنها منذ الآن فصاعداً ستجد باول مابسون أمامها أينما حلّت ولكنها في الأسبوع التالي لم تشاهده اطلاقاً لذا تمكنت من العمل بدون أن يقاطعها أحد. ولكنها لسبب غريب وجدت أن العمل لم يعد ينسيها ويسليها كما كان يحدث في

السنوات الأخيرة.. غير أنها رغم ذلك رمت نفسها فيه بتصميم، ولكن غناءها افتقر إلى شرارته العادية فعلق رينيه على هذا مقطباً.

كانت جولي كذلك على غير عادتها. وصارحت ريا رينيه متسائلة عما أصاب جولي.

- ماذا بها؟ لم ألاحظ شيئاً. عمَّ تتحدثين؟.. كانت تشكو من صداع بسيط هذا الصباح... هذا كل شيء.

ذلك المساء عادت جولي إلى نشاطها وحيويتها في الحديث فنال رينيه من مزاحها كالعادة. لكن ريا مع ذلك لاحظت أنها كانت أحياناً تلوذ بصمت غريب، كانت تنتزع نفسها منه بشكل ظاهر حالما ينظر إليها رينيه.

ثمة خطب ما، وهو إما جسدي أو نفسي له تأثير جسدي. ففي الصباح التالي شاهدتها تسير في الحديقة شاحبة ووجهها متوتر تظهر عليه التجاعيد. فلحقت بها إلى الخارج تحت شمس الربيع، تدفع ابتسامة هادئة إلى وجهها:

- مرحبا... مشغولة؟

- أحب أن أعمل في الحديقة أحياناً فذلك ينسيني بعض الأفكار.

- أية أفكار؟.

تظاهرت ريا أنها تنظر إلى الورود ولكنها في الوقت ذاته كانت ترتقب بشوق. أخيراً استدارت إليها تسأل بحدة:

- لماذا لا تخبريني ما بك جولي؟.

فقفزت جولي مذعورة، وتظاهرت بالضحك:

- ماذا؟.

- ثمة خطب ما... أعرف هذا.. هل له علاقة بالعمل؟



ضحكت جولي بطريقة غريبة:

- لا.

- إذن ماذا؟ مريضة؟ أتحسين بشيء؟.

ترددت جولي... فتوسلت ريا إليها.

- أخبريني... أنت تقلقيني!.

- أصبحنا اثنتين، فأنا لم أشأ أن أقلقك.. كنت سأتغلب على الأمر قريباً، فأنا لم استفق بعد من الصدمة.

- أية صدمة؟.

خلعت جولي قفازات العمل ببطء ووضعتها في وعاء أمامها ثم استدارت لتسير نحو الجدار المنخفض الذي يفصل الحديقة عن المرجة، ثم يلتف نحو الشرفة على جانب المنزل، ولحقت بها ريا. وقالت جولي فجأة:

- أنا حامل.

فغرت ريا فاها من أثر الدهشة وعدم التصديق:

- ماذا؟.

- حامل! ولا ألومك لأنك لم تصدقي، فقد شعرت بما تشعرين ولم أصدق.

نظرت إليها ريا بعينين متسعتين من الاثارة:

- جولي... أنت تمزحين؟

- مزحي لا يصل إلى هذا المدى...

- لكن ألست سعيدة؟ ألا تريدين الطفل؟ ظننتك لا تحبين، ولم أشأ قط أن أسألك لئلا أزعجك.

- لست أنا من لا تحمل... فالخطأ في رينيه.

- ظننته يحب الأطفال!.

- كان صريحاً معي منذ البداية. لا يريد أطفالاً، فهم يربكون الحياة.

- لكن أنت... لا تريدين طفلاً جولي.

- أنا؟ أنا في الأربعين من عمري وقد تجاوزت هذه المرحلة.

- لو تجاوزتها لما حملت.

فضحكت جولي على مضض.

- تعرفين ما أعني... فكري في الإزعاج، طعام الطفل، وحفاضاته وذلك البكاء المرعب، خاصة في منتصف الليل. وقد أضطر للتوقف عن العمل... ولا أستطيع تصور نفسي أماً.

- أما أنا فأراك أماً رائعة... وإن عجزت عن مواجهة الصراخ والتغيير للطفل استأجري مربية، فلديكما المال الكافي.

توسلت جولي:

- لا تكوني منطقية إلى هذا الحد فأنا سأحس بالفراغ الشديد حتى ذاك اليوم.

- أفهم من هذا أنك لم تخبري رينيه بعد؟.

- لا أستطيع مواجهته.. لا أستطيع تصور ردة فعله. نحن على وفاق في وضعنا الحالي وأقلق مما هو قادم.

- ولماذا القلق؟.

- مضت خمس عشرة سنة، لم يكن فيها أحد سوانا... فماذا سيحدث لزواجنا حين يأتي شخص ثالث؟.

فكرت ريا قليلاً:

- كنت معكما في السنوات الخمس الماضية، ولم يؤثر هذا في زواجكما.

- هذا مختلف. فأنت لم تزعجينا البتة لأنك سهلة المعشر،



وهناك أمر آخر يقلقني فإن لم تنجح في معالجة أمر طفل فقد تنفصل.

- أعتقد أن رينيه سيطير فرحاً.

- ليت عندي ايمانك الطفولي!.

تابعتا السير قرب الجدار، ريا تمرر يدها فوق حجارته الباردة عابسة. لقد وجدت ردة فعل جولي أمام حملها مزعجة ومكدرة. بدأ شحرور أسود يغني على غصن مرتفع، فراقبته ريا بعينين جامدتين، وأحست بالبرود، مع أن الشمس كانت شديدة الحرارة بحيث أدفأت الهواء.

سألت ريا وظهرها إلى جولي، بصوت متكدر:

- ألم تفكري في الطفل...؟ إنه قادم.. أحببت هذا أم لا.. وسيحتاج إلى حبك.

بقيت جولي صامتة، واقفة مسمرة مكانها وحينما استدارت ريا نحوها شاهدتها عابسة، ثم قالت ببطء:

- لقد نسيت... هاي... يا لغبائي! كان يجب أن أفكر في مشاعرك ريا... أرجوك لا تحزني! هل دمرت لك أحلامك؟.

ردت ريا بخشونة:

- ليس لدي أحلام، فلا تأبهي لي... رينيه رجل ناجح والطفل عادة عاجز. لذا عليكما أن تحياه.

لم تألُ ريا جهداً في منع الألم من دخول صوتها لكن جولي انتبهت لهذا.

- ريا أنا لن أتخلى عن الطفل غير أنني أندب حظي فقط.. فلا تهتمي... هذا الطفل سيحصل على أفضل عناية كما تعرفين.

ردت ريا بجدية:

ـ إن الحب هو كل ما يحتاج إليه.

هزت جولي رأسها، وارتجفت:

ـ أخذ الهواء يبرد... فلنعد.

وبينما هما عائدتان إلى المنزل، سألتها جولي:

ـ هل فكرت مرة في البحث عن أمك؟

ـ لا.. لم أفكر في هذا، ولا أريد معرفتها. لقد تركتني لأموت.. فما حاجتي إلى معرفة المزيد؟ فمن ذا الذي تسول له نفسه أن يفعل فعلها؟

ـ ربما لم تكن هي... ربما شخص آخر فعل هذا.. أعني حين تلد المرأة، لا يمكن لها أن تختار ذلك الوقت لتسير به في الشوارع... أليس كذلك؟

ـ ولكنها عرفت بدون شك، فيجب أن توافق أولاً. ولولا موافقتها لطالبت بي حين نشر الأمر في الصحف. قيل لي ان الخبر نشر في الصفحات الأولى...

وضحكت بغضب.

ـ كنت بارزة في الأخبار منذ أن ولدت، ولكن لا تحدثي بهذا الحديث أحداً.

ردت بسرعة:

ـ بالطبع لا... لكن أتعلمين، ستكون دعاية كبيرة لك.. يا لهذه القصة!

ـ لن أسامح أي إنسان يسرب هذا الخبر إلى الصحف!

ـ لن نسرّبه ولكن ألا تشعرين بالفضول على كل الأحوال؟ قد تشعرين بالراحة لو عرفت الحقيقة.

وقفت ريا جامدة دون حراك.. وأدارت وجهاً شاحباً كوجوه



الموتى إلى جولي:

ـ لا تطلبي مني التعاطف مع شخص حاول قتلي وعمري لا يتجاوز الساعات فأنا لا أكنّ لأمي سوى الكراهية والاحتقار ولا أظنها معذورة فيما فعلت.

حاولت جولي أن تجادل، لكنها عدلت عن رأيها وصمتت متنهدة:

ـ أفهم تماماً حقيقة شعورك.

ـ أتفهمين؟ اذن لا تحدثي عن طفلك وكأنه ليس سوى مبعث إزعاج ويؤلمني أن أسمعك تتكلمين عنه بهذه الطريقة.

فسألتها حانقة:

ـ هل أحسست بأنني أتقيأ كل صباح في الأسبوع الماضي. أنا مضطرة لاخبار رينيه قريباً، عاجلاً أم آجلاً فسيتملكه الفضول إذا أسرعت في كل مرة إلى الحمام ويدي على فمي.

ضحكت ريا:

ـ اوه.. مسكينة جولي.. أنا آسفة.. هل الأمر بهذا السوء؟

ـ إنه ليس بنزهة، فأنا في الأربعين.. ولن يكون الأمر بالنسبة لي مرحاً.

ـ هل ذهبت إلى الطبيب؟

لم تلاحظ ريا كم كان صوتها مرتفعاً، حين ظهر رينيه على باب مكتبه.

ـ تذهب إلى الطبيب؟ وما الأمر؟

التفتت جولي إلى ريا ساخرة:

ـ هل تريدين مذياعاً؟ ألن ترغبي في اذاعة الخبر للجوار

كله؟.

صاح رينيه:

- ما الذي يجري عنا؟ أنا أحاول أن أعمل.. فاخفضا صوتيكما.

ودخل إلى مكتبه ثانية، لكنه عاد يطل برأسه:

- لماذا أنت بحاجة إلى طبيب على أية حال؟ أنت فعلاً تبدين هشة كالبسكوت.. هل هي اضطرابات نسائية مرة أخرى؟

سألت جولي، دون توجيه السؤال إلى أحد، ووجهها محمرّ:

- إنه مهتم ويفكر فيّ.. أليس كذلك؟

هز كتفيه بلا اكتراث:

- لا تكرهي نفسك على قول ما لا تريدين فأنا على كل الأحوال لا أعرف شيئاً عن شؤون النساء.

دفعته جولي إلى المكتب ولحقت به قائلاً:

- حسناً.. ربما سأرسم لك رسماً توضيحياً.

وأقفلت الباب وراءهما، وما هي إلا لحظات حتى قفزت ريا من مكانها حين صاح رينيه بصوت حاد مرتفع لا حدود له. وفهمت أن جولي.. أخبرته!

* * *



## ٦ - الهجر أوله ألم

رأت ريا رينيه بعد الظهر وقد أخذ الذهول منه كل مأخذ. كان شعره أشعث كأنه أمضى طوال النهار يمزقه بكلتا يديه.. حدجها بعينين زائغتين ثم تهالك على كرسي في غرفة الجلوس:

- لا أستطيع الاستفاقة من الصدمة!

- ألست فرحاً؟

- فرحاً ريا.. لا أكاد أصدق أذنيّ! هل حقاً أنّ جولي سترزق طفلاً بعد خمس عشرة سنة؟ أظنّ الأمر جميلاً!

تأوه رينيه: لن تعود الحياة إلى ما كانت عليه؟.

- لكن فكر في السعادة التي ستغمرك!.

- اسمعي... أعرف ما سيؤول إليه الحال عند قدوم وافد صغير إلى المنزل... سينقلب المنزل رأساً على عقب وسيكون الطفل مصدر جلبة وضوضاء ومحور اهتمام وأمّا ما عداه فيستحيل رماداً تذروه الريح.

ضحكت ريا متسائلة عما إذا كان رينيه يغار من الطفل القادم. لكنها حاولت، دون جدوى، أن تطرد من رأسها ما راودها من تهيؤات ولو كانت مصيبة في بعضها.

لقد استأثر رينيه باهتمام جولي طوال خمسة عشر عاماً لم يكن له فيها منازع، وها هو ذا الطفل قادم أفتراه ينتزع منه مكانته في قلب جولي؟

وضع أصابعه على وجهه يصيح من خلفها:

- سيقول علينا الناس الأقاويل ولاسيما أنّ قد بلغنا من العمر ما بلغنا سيقولون زوجين أحمقين.

ردت مرحة: إنك ستصبح محط أنظار الرجال.

- أب في الخامسة والأربعين.

أحست به ينظر إليها من خلال أصابعه.. ثم اعترف:

- أعتقد أن الأمر ليس سيئاً.

- سيحسدك الجميع وسيجعلك وجود طفل في المنزل تحس بأنك أصغر عمراً..

- نؤسس عائلة في مثل عمرنا.؟ هل أنت مجنونة؟

ابتسمت:

- إنه لرائع! سجل اسمي على لائحة المربيات. أرى نفسي خالة.

صمت رينيه دقائق. ثم قال:

- ما زلت أفكر في طريقة أثير بها الموضوع بين أصدقائي.

- أحضر علبة من أفخر أنواع السيكار وقدّم لكل واحد منهم سيكاراً، ولا تحاول الاعتذار رينيه.. بل تفاخر!

ضحك وأنزل يديه عن وجهه:

- لديك الآن شيء من الحق، ولكن تصوري وجوههم حين يعلمون.

سخرت منه:

- سيحسن هذا صورتك أمام الجميع إلى ما لا نهاية.. لا شيء في الكون أهم من أن تصبح أباً.

لكنه لم يكن يستمع، بل أخذ يحدث نفسه:

- أتساءل عما سيكون، أودّ لو يكون صبياً.



- حسناً..

- لست متعصباً.. لكن يجب أن أقول إنني لن أمانع لو كان لي ولد يحمل عني حملي بعد التقاعد.. فأنا ناجح وهو سيرث يوماً وكالة صغيرة رائعة

هتفت ساخرة:

- يا باني الأمبراطوريات!

أضاف ضاحكاً:

- أظن أنني سأعتاد على مثل هذه النكتة.

- لا تسمح لأحد بأن يلقي نكتة بل اخترعها أنت فأفضل وسيلة للدفاع هي الهجوم

- أوه.. سأفعل. لكن هل تظنين أن جولي ستقوى على الحمل؟

- أتمنى ألا تلقى مشقة ووهناً في حملها ولا سيما أنها كبرت في العمر

- إنها في الأربعين؟ وليس هذا العمر عمر الشيخوخة. كثيرات هنّ النساء اللواتي حملن في الأربعين أتعرفين ماذا سأفعل؟ سأخابر شقيقتي أديت الآن وأخبرها.

- اسأل جولي أولاً.

ولكنها كانت تكلم غرفة فارغة، فقد خفّ رينيه إلى مكتبه دون أن يسمعها.

في اليوم التالي قالت جولي متذمرة:

- لا أصدق هذا! إنه يتحدث في الهاتف بلا توقف تقريباً، ويمضي هناك ساعات. يدهشني لأنه لم يتصل بعد بالبيت الأبيض.

ضحكت ربا:

- إنه سعيد بنفسه. استيقظ قبل انبلاج الفجر.. أليس كذلك؟.

- وأخذ يقفز في المنزل كالشمبانزي . . . لم يلاحظ حتى أنني تقيأت مرة أخرى .

- ألم تسألي الطبيب عن هذا الغثيان الصباحي . ؟ ألا يمكن توقيفه ؟

- أوه . لقد سألته وإلا كيف عرفت بحملي؟ أتعلمين ما ظننت في البداية؟ كان لدي احساس رهيب أن بي مرضاً قاتلاً . . . ولم يخطر على بالي قط أنني قد أكون حاملاً . وحين استجمعت شجاعتي للذهاب إلى الطبيب، أجرى لي بعض الفحوصات، وحين أخبرني كان يبتسم ابتسامة الأبله، ولم أصدقه في البداية . عندما سألته عن الغثيان الصباحي أشار علي أن ألزم الفراش وأتناول البسكويت الجاف قبل النهوض من السرير .

- ألم ينفع هذا؟ .

- لم ينفع إلى الآن . ثمّ إنني أكره البسكويت الجاف!

- مسكينة جولي!

- لا أرى في الأمر ما يضحك . أظنني كنت سأقوى على تحمل الأمر أكثر فيما لو فزع ريتيه مثلي كما كنت أتوقع . ولكن بعد صرخته المرعبة الأولى، بدأ يتمتع بنفسه، وهذا ما يجعلني أشتعل غضباً! لا أستطيع أن أكره طريقته في التفكير فهو يظن أن الفضل يعود إليه وحده . . . ألا تلاحظين مقدار غضبك حينما تستائين من شيء وقربك شخص ينظر إلى الدنيا باشراق؟ .

- أنت بحاجة إلى عطلة .

- أصبحنا اثنين . سأتباحث معه هذا الأمر حين ينهي مخابرته، ما من أحد يراه إلا ويظن انه هو الحامل طفلاً؟ .

ضحكت ريا وهي تنظر إلى ساعتها .

- يجب أن أسرع لديّ موعد مع مايكل في الحادية عشر .



أتعلمين لست سعيدة بهذه الموسيقى الجديدة؟!

- إنها سريعة الوقع بالنسبة لك .

- سريعة جداً . مايكل يقول لا . ولكنه ليس من سيغنيها يكاد لساني يلتوي أحياناً من جراء هذه النغمات .

توجهت إلى المدينة بسيارتها البورش الحمراء، وأوقفتها في موقف تحت الأرض قرب مكتب مايكل الذي وجدته في مزاج معقد فأمضت وقتاً طويلاً في اقناعه بأنها لن تستطيع تأدية الأغاني بالطريقة التي يريدها . أخيراً . اقتنع على مضض . فوقفت لتذهب وقال مقترحاً:

- نتناول الغداء؟ .

ترددت قليلاً، ثم ابتسمت .

- شكراً . . !

ذهبا إلى مطعم صيني صغير، أكد لها مايكل أنه يطهو أفضل الأطعمة الصينية في لوس أنجلوس كلها . كان مايكل معروفاً هناك، فاستقبله المالك بالترحاب، وما إن مضى الرجل حتى غرقا في الحديث عن أنواع الأطعمة اللذيذة التي سيطلبونها .

أخذت ريا تنظر إلى ما حولها في المطعم المكتظ، فالتقطت ابتسامة أعادت نظرها، ثم ابتسمت عندما تعرفت إلى الشاب الأشقر ذي العينين الزرقاوين . وقف الشاب ليتقدم إليها وقال وهو يقبل خدها:

- مفاجأة! .

- مرحبا ريكي ماذا تفعل في لوس أنجلوس؟ ظننتك تعيش في انكلترا؟ .

- أجل . وأنا هنا لأسجل بعض الأسطوانات . سمعت أنك أقمت حفلة كبيرة نالت نجاحاً عظيماً .

- أجل . . . بيعت كل التذاكر.
صافح مايكل وجلس معهما.
- لا أستطيع البقاء، فوكيلي معي ولو غبت عن ناظريه هنيهة لباعني في سوق العبيد . كيف حالك مايكل؟ كيف حال رينيه؟.
كان ريكي يعمل مع وكالة رينيه ولكن بعد سفره قطع علاقته معه ولم تعد ريا تراه منذ ذلك الوقت. وقال له مايكل مبتسماً:
- سترزق جولي طفلاً.
ضحك وهو لا يكاد يصدق:
- لا تمزح!.
- صدقني!.
- من يتصور هذا؟ لا بد أن الخبر صعقه . هل هما سعيدان؟
قال مايكل:
- يكاد رينيه يطير فرحاً.
التفت إلى ريا بفضول.
- لكن كيف تشعر جولي؟ لا أستطيع تصورها أماً ولا أتصور رينيه أباً، لم يبدوا لي قط بحاجة إلى أحد. أتفهمين ما أعني؟
- إن بعض الناس من النوع العائلي . . . أما رينيه وجولي فليسا كذلك.
التفت مايكل إلى ريكي:
- البومك الجديد رائع. خاصة أغانيك، ما من أحد يغنيها مثل غنائك! كيف حالك في انكلترا؟
- عظيم.
أرجع شعره الأشقر المتموج وراء رأسه وابتسم:
- هاي . . هل الاشاعة صحيحة؟ هل سيشتري مايسون شركة تسجيلات «تي في ريكوردز»؟.



انقبضت ريا، وزالت البسمة عن ثغرها.
- أين سمعت هذا؟
- من وكيلي . إنه يعرف كل شيء. أنت متعاقدة مع «تي في ريكوردز». ريا . . أليس كذلك؟ هل سمعت شيئاً؟.
تبادل مايكل وريا النظرات . . . ثم قالت ريا:
- لا . . كان باول مايسون في حفل عشاء جوشوا دانفرز منذ أيام. وتساءل رينيه عما يفعل هناك.
- يقول وكيلي إنّ مايسون اشترى أسهم دانفرز في «تي في ريكوردز» ويحاول شراء ما يكفي من الأسهم الأخرى ليسيطر على الشركة.
تمتم مايكل مقطباً:
- يجب أن يعارضه أحدهم على هذا، فلن تعجب الفكرة الجميع. لماذا يرغب مايسون في شراء شركة أميركية . على كل حال؟.
رد ريكي ساخراً:
- كلما ازدادت أملاكهم استكثروا واستزادوا.
- هذا صحيح.
وقف ريكي، ينظر إلى الخلف نحو طاولته حيث يجلس وكيله نافذ الصبر يحدق إليهم.
- يجب أن أعود قبل أن يأكل الصحون من شدة غيظه. جميل أن أراك ريا . . حين تنزل اسطوانة الحفلة إلى الأسواق سأسارع لشرائها.
- شاب طيب.
- جداً.

لكن ربا كانت قد نسيت ريكي لأن فكرها انشغل في ما سمعته عن مكيدة مايسون مع شركة «اي في ريكوردز» متسائلة عما إذا كان صحيحاً أن دانفرز باعه أسهمه في الشركة وإن كان هذا صحيحاً فإلام يخطط مايسون؟ أمضت معظم الوقت تفكر في ذاتها وكادت لا تتذوق الطعام وكان مايكل قد لاحظ شرودها فقال لها:

ـ حين تخرجين معي للغداء سأحمل معي كتاباً.

ـ اوه، آسفة مايكل... كان فكري مشغولاً بأشياء أخرى. لم أكن رفيقة طيبة اليوم... أليس كذلك؟

نظر إليها بمكر:

ـ هل يقلقك أمر باول مايسون وما يجري لشركة «اي في ريكوردز»؟ لا يشغلنّ هذا الأمر رأسك الجميل. لأن ما حدث لن يؤثر فيك. أنت مهمة لهم ولن يختلف الأمر بعد رحيل المالك القديم.

ابتسمت ربا بأدب، لكن ما إن ابتعدت حتى انقبض وجهها. ألن يختلف الأمر؟ إنه لا يعلم... كانت تنوي التوجه بسيارتها إلى باسادينا... ولكن فكرها غرق في ما قاله ريكي وعليها أن تخلو إلى نفسها... وهكذا سارت في شوارع المدينة تحت شمس الربيع هائمة على وجهها. لقد حرمت منذ سنوات من فرصة تنشد فيها الراحة والآن لا تدري ما هي فاعلة.

تمكنت مع نظارة سوداء، وغطاء رأس يخفي شعرها الأحمر من السير في الشوارع المكتظة، بين المجموع المتسارعة بدون أن يتعرف إليها أحد. لقد مضى زمن طويل لم تقف فيه للتفرج على واجهة المحلات... ووجدت الأمر مسلياً.

وصلت إلى أبواب الحديقة العامة الخارجية فدخلت إليها لتسير تحت الأشجار ببطء ويداها في جيبها ومعطفها يتدلى على جانبيها



بحرية... وتفكيرها ينقاد طوعاً وراء باول مايسون. لقد أقنعت نفسها مرات ومرات أن تكف عن التفكير فيه... ولكن حالما تحاول نسيانه حتى يعود تفكيرها الغبي إلى الموضوع الذي كان يستحوذ عليها منذ ساعة الغداء.

وهذا ما يبعث الاضطراب، ففي الماضي لم تكن تعير اهتماماً لمن يتودد إليها من الرجال... أما باول مايسون فيقبع في تفكيرها وفي حياتها. منذ رأته واحساس بالقلق وعدم الراحة يساورها ويهددها من مغبة ما سيحدث. ترى أهناك تهديد موجه إليها من باول؟ لقد احتفظت بمشاعرها في ثلاجة منذ زمن بعيد وما عادت واثقة مما تشعر به نحوه، أخافتها شدة العواطف المتأججة التي تعرف أنها قد تشتعل بقوة في نفسها إن لم تحولها بأمان إلى الموسيقى...

ومع أنها حاولت جاهدة أن تنكر هذا حتى على نفسها إلا أنها لم تستطع تجاهل واقع أن باول كان يملك القدرة على دق وتر في تلك المشاعر المخبوءة... لقد هددها... هدد الملاذ الآمن الذي كانت تلتجىء إليه، كان وجوده قادراً على تمزيق جدران هذا الملاذ معرّضاً روحها لعوامل نفسية كانت تخشاها. حين تكون قدرة المرء على الشعور متفجرة، يحتاج إلى من يحرسه من هذه المشاعر... وربما كانت تخاف من أي شخص أو أي شيء قد يطلق مشاعرها من عقالها.

من المؤسف أن باول شاهدها تلك الليلة تغني. في تلك الليلة أعطت كل ما عندها وكان كيانها كله يطير تحت الأضواء... ليتهما التقيا في اليوم التالي لأنه عندها كان سيرى امرأة هادئة، باردة، متحفظة وحذرة...

ماذا يحاول أن يفعل بشرائه الشركة؟ توقفت عن السير

وارتجفت، وراحت عيناها تتأملان الحديقة الغناء: كانت ظلال الأشجار القاتمة تظلل الممر المرصوف والريح تحرك الأغصان..

هل هذا محض صدفة؟ أم أنه اقتحام مقصود لحياتها؟ وقفت مسمرة ويداها في جيبي معطفها.. من السخف الارتياب بأن أي رجل مهما كان ثرياً قد يشتري شركة ما ليشق طريقه بالقوة إلى حياة امرأة.. ما من أحد قد يبلغ به الجنون هذا الحد!

ولكنها لا تستطيع نسيان لمعان الإصرار في عيني باول في حفلة دانفرز، ولا صوته المنخفض المخيف الذي حذرها أنه ينوي الحصول عليها. ولكن في قسمات وجهه وفي قوة ارادته ما جعلها تقلق فباول مايسون رجل يحصل دائماً على ما يريد ويرفض أن يرفضه أحد. إن الرجال الذين لم يفشلوا مرة في تحقيق أهدافهم، يصبحون أكثر تشدداً في تنفيذ مآربهم، فغرورهم لا يسمح لهم بقبول أي رفض لأن هذا يشتت فكرتهم الخاصة عن أنفسهم.

سارت في الحديقة حتى وصلت إلى الجانب الآخر.. لم تكن تحس بالتعب لأن عقلها كان يعمل بقوة متجاهلاً جسدها ولكن حينما بدأ المطر يتساقط ذهلت واستفاقت من شرودها على انهمار المطر الذي اخترق غطاء شعرها ووصل إلى رأسها فهرعت تسعى إلى مدخل مكتب مجاور، وقفت تحت خيمة فضية معدنية والتفت بمعطفها ثم راحت تحملق في قطرات الماء المنهمرة بشدة. في هذا الوقت بالذات تهادت سيارة ضخمة بيضاء وقفت على مقربة منها.

راقبت السائق ينزل عن غير وعي فاتحاً مظلة قبل أن يدور حول السيارة إلى الباب الآخر.. ولكن عينيها اتسعتا من الرعب حين شاهدت أن الراكب الآخر هو باول.

التفتت إلى الجهة الأخرى، وتجمدت في مكانها عاجزة عن الركض خشية أن تلفت انتباهه. فكرت في أنها بهذا المعطف المبتل



وبغطاء الرأس الذي تضعه ستبدو امرأة أخرى فتمنت ألا يلاحظ وجودها عندما يسير نحو المبنى.

سمعت باب السيارة يصفق ووقع أقدام تقترب فركزت اهتمامها على وقع الأقدام، وحين تجاوزتها أحست أنها ترتجف من الارتياح، وكانت على وشك الانطلاق مبتعدة حين سمعت وقع الأقدام تتوقف. ذعرت في اللحظة التي قطع فيها باول المسافة الفاصلة بينهما ولكنه أمسك ذراعها ليديرها إليه.

نظرت إلى وجهه غاضبة وهو يسأل:

ـ ماذا تفعلين هنا؟.

قبل أن ترد، كان يمرر عينيه عليها:

ـ أنت مبتلة.. تبدين كقطة غارقة!

اشتدت أصابعه على ذراعها يدفعها نحو الباب إلى داخل المبنى.

ـ إليك عني! ماذا تظن أنك فاعل؟ أنا أنتظر شخصاً.

نظر إليها متجهماً:

ـ هنا؟ تحت المطر؟ من تنتظرين؟.

لم تكن قد فكرت ملياً عندما أطلقت كذبتها عليه، فصمتت هنيهة قبل أن تقع على اسم، وكان الاسم الذي تفكر فيه منذ أن التقته:

ـ ريكي أونيل.

ضاقت عيناه اللتان جالتا ببطء في الطريق، قبل أن تعودا إليها:

ـ لا أظنه قادماً. هيئتك تدل على أنك انتظرته منذ مدة. جعلك تنتظرين؟ أليس كذلك؟.

أحست بدم الغضب يتصاعد إلى وجهها بسبب السخرية الكامنة في سؤاله فردت بحدة:

- من الواضح، أنه وقع له أمر ما أخرّه.

- هذا واضح. يمكنك الصعود لتجفيف نفسك في مكتبي . .

استدار سائراً إلى بهو المبنى، وريا تعدو خلفه عاجزة لاهثة، يجرها من معصمها . .

وصاحت به:

- اسمع . سيتساءل ريكي عن مكان وجودي . . .

دفعها إلى المصعد:

- اصمتي . .

أغلق الباب وصعد المصعد بصمت فاستندت ريا إلى جدار المصعد تعض على شفتها، وعيناها مطأطئتان إلى الأرض. ولكنها كانت تعلم أن باول يحدق إليها. مد يده إليها فقفزت عيناها في الهواء مئة وخمسة وثمانين سنتمترا، نظر إليها بإمعان وانتزع المنديل المبلل عن رأسها.

توقف المصعد وانفتح الباب بسرعة، فخرج باول وهو لا يزال يمسك بمعصمها، ولكن ما أذهلها رؤية صف من الرجال المرتدين البذلات السوداء، وعلى وجوههم بسمة ترحاب.

هز باول رأسه لهم وقال:

- سأكون معكم بعد ربع ساعة. أرجو الانتظار في قاعة الاجتماعات.

لم ينتظر الرد، بل استدار ليبتعد جاراً ريا معه، أما الرجال فراحوا يحدقون إليهما بصمت وكأن على رؤوسهم الطير . . . ماذا يفكرون بالله عليهم؟ أتعرف إليها أحدهم؟.

دفع باول باباً يفتحه فوجدت ريا نفسها في غرفة ذات أثاث جميل بدت جناحاً خاصاً متصلاً بقاعة الاجتماعات.

تركها باول وسار على سجادة عاجية قائلاً:



- اخلعي معطفك . . إنه يرشح ماء فوق السجادة.

ردت بعبوس:

- ألا تكفّ عن إصدار الأوامر؟

تجاهلها تماماً:

- أنت بحاجة إلى شراب ساخن . . لا تقفي هناك لأنك لن تذهبي إلى مكان آخر.

- ومن يقول إنني لن أذهب؟

- أنا أقول.

حدقت إلى الخط الطويل الأنيق المنساب على ظهر بذلته السوداء، وهو يصب فنجانين من الشاي من إبريق كهربائي قابع على طاولة في زاوية الغرفة، وأحست بكرهها له، فما إن تصبح معه في مكان واحد حتى تحسّ بالجو يتكهرب ولعل أكثر ما يخيفها أن يشعر بتأثيره فيها.

استدار برشاقة إليها وصاح آمراً:

- اخلعي هذا المعطف المبلل وتعالي إلى هنا.

جعلتها لهجته تنتفض امتعاضاً وكانت ستجادل، لولا ذاك التعبير المنذر الذي أطل من أعماق عينيه وعلمت أنها إن جادلته لن تتمتع بنتائج جدالها.

بعد صمت قصير حركت يديها، وطفقت تخلع معطفها . . لتمتم بصوت منخفض واهٍ:

- حكيمة جداً.

وضعت ريا معطفها على ظهر كرسي قرب الباب، ثم تقدمت لتنضم إليه على أريكة عصرية طويلة كانت في وسط الغرفة.

حين توقفت قرب الأريكة، قال:

- اجلسي.

أطاعته على مضض، ممررة يداً مرتجفة في شعرها المتلبد، فالمطر اخترق منديلها ووصل إلى شعرها.

أعطاها بول فنجانها، فقالت محتجة:

ـ لا أحب الشاي كثيراً.

ـ أنت تشعرين بالبرد لذا الحاجة ملحة إلى شراب ساخن.

استند إلى ظهر الأريكة ورأسه الأسود مستند إلى يده، وأحست ريا بركبته تلامس ركبتها فردتها بحدة بعيداً.

ـ اشربي الشاي ساخناً!

أحرق الشاي الساخن حنجرتها ولكن لم يمض وقت حتى أحست بحرارته تسري في جسمها. نظرت إلى ما حولها في الغرفة وسألت:

ـ ما هذا المكان؟

ـ جزء من جناح رئيس مجلس الإدارة، نحن نستقبل ضيوفنا هنا عادة... ماذا كنت تفعلين في الخارج.. حقاً؟ ولا تقولي إنك كنت ستقابلين ريكي أوتيل في الشارع.. فالعقل لا يتقبل هذه الحجة الضعيفة فمن ضروب الخيال أن تواعديه في مكان كهذا.

ارتشفت كوبها ثم وضعت الفنجان على طاولة قربها.

ـ فيما كنت أتمشى تساقط المطر فهرعت التجيء إلى المظلة المعدنية التي رأيتها أمام الباب.

ـ من المصادفة حقاً أن تختاري مدخل مكتب شركتي الرئيسي.. أليس كذلك؟

ـ مجرد مصادفة!

قاطعها ساخراً وفمه يلتوي بابتسامة:

ـ صحيح؟

ـ نعم.



ولكنها تساءلت عما إذا كانت قدماها قد حملتاها إلى هناك مصادفة أم أن عقلها الباطني دلها على وجهة المسير فقد كان باول مايسون يستحوذ على أفكارها قبل ذلك.

قال لها بعد صمت قصير:

ـ لدي أخبار لك... من المتوقع أن أصبح رئيس مجلس إدارة شركة «تي في ريكوردز».

استمعت إليه بجفاء ففي لهجته تهديد لها، كان كمن يتوقع أن يهزها هذا التصريح لذا راقبها مراقبة الصقر ليرى ردة فعلها. غير أنها كانت ممتنة للإنذار الذي أطلقه ريكي أمامها. فلولاه لصدمت وعوضاً عن هذا نظرت إليه نظرة باردة. وقالت ساخرة:

ـ حقاً؟ لم أكن أعرف أن لك علاقة بالشركة أبداً.

رأت أن عيناه قستا وكأن ردها الهادىء أزعجه:

ـ اشتريت منذ فترة وجيزة كمية ضخمة من الأسهم من السيد دانفرز.

ـ أووه.. ولماذا هذا الاهتمام؟

ـ ألا تعرفين السبب؟

احمر وجهها فجأة:

ـ إذا كنت تظن أن بإمكانك استخدام هذا لإرهابي.. فأنت مخطىء سيد مايسون. واعلم أنك قد ضيعت مالك باستثمار خاسر.

ارتفع حاجبيه ساخراً.

ـ أنت تقدرين نفسك فوق قدرها عزيزتي ريا. هل تعتقدين حقاً أنني قد أتجشم مثل هذا العناء كله لابتزك؟

أشاحت بوجهها عنه ولكنها سمعته يضحك بصوت منخفض:

ـ آسف لتبديد أوهامك. لقد جئت إلى هنا لهدف واحد، هو

إتمام التفاوض مع جوشوا داتفرز.. واعلمي أن هذه الصفقة كانت قيد التفاوض منذ أسابيع.. أنت تسرعين في استنتاجات خاطئة. أليس كذلك؟

- لم أسرع إلى الاستنتاج بل أوحيت لي أنت بذلك متعمداً..

دنا منها ليمسك إحدى خصلات شعرها بين أصابعه:

- أي انطباع أعطيتك؟

دفعت يده بعيداً عن شعرها:

- اترك شعري!

- إن لونه لمميز، نار وذهب.. كلما حركت رأسك، لمع.

أخذ يحرك يده فوق شعرها، ثم نظر إلى عينيها مبتسماً:

- اشتريت الشركة لأسباب عملية تجارية بحتة، لكن هذا بالطبع يعني أن لدي الآن أسباب خاصة لأهتم بك.

- لا أريد أن تهتم بي أو بعملي!

- هذا مؤسف جداً.. لأنني سأهتم. ولو كنت تعرفينني بعض المعرفة، لعلمت أن إطلاق التحديات جزافاً يثيرني، واعلمي أنني إن بدأت معركة أربحها عادة. وإن سألت أخبرك بذلك العديد من الناس الذين خسروا أمامي.

لمّا تلاقت نظراتهما أحست برجفة تسري في ظهرها.. وعندما أمعنت التفكير رأت أن تصميمه على ملاحقتها، إنما سببه عدم قبوله خسارة ما يريد.

وأردف بشرح لها:

- كانت الأحجيات دائماً تثيرني.. وأنت أحجية معقدة ريا.

ضاقت عيناه وهو ينظر إليها، فانكمشت مرتدة تحبس أنفاسها.. ثم تمتمت:

- قلت لك إنه لا يحق لك أن تلاحقني.. فلماذا لا تبتعد عني؟



- وأنا قلت لك.. إنني لن أقول وداعاً.

وضع الفنجان من يده ثم أطبقت أصابعه على ذقنها ليرفعه فشهقت متوترة وحاولت الخلاص من قبضته.. ولكنه شدد قبضته أكثر فأكثر فيما ارتفعت اليد الأخرى لترجع كتفيها إلى الوراء تسندهما إلى الأريكة، فصاحت:

- اتركني!

عندما ضربته على كتفه سمعته يضحك على مقاومتها الواهنة. حدق إلى عينيها النجلاوين المذعورتين وقال ساخراً:

- لن أبتعد عنك تاركاً أمر حل لغزك لرجل آخر. أنذرك منذ الآن إنذاراً عادلاً، أنا صبور ولجوج وظالم لا أعرف الرحمة حين أريد الحصول على غايتي.

ضاقت عيناه على قسمات وجهها الناعمة حتى استقرتا على ثغرها المرتجف.. شهقت عندما تحرك رأسه إلى الأسفل، وكانت كلما اقترب منها تشعر بالوهن يتسلل إلى أطرافها. وقبل أن يصل إليها أحست بجفنيها يطبقان بضعف.. ثم انكمشت قبضتاها على كتفيه، وترنح جسدها مقترباً منه قليلاً.

خفق قلبها بسعادة مؤلمة، ولكن لمسته كانت مختصرة، خفيفة كلمسة فراشة.. فسرعان ما ابتعد عنها ولمّا فتحت عينيها دهشة وجدته يقف قرب الأريكة والسخرية تطل من قسماته جميعها..

وقال لها برضى:

- لديّ اجتماع مجلس إدارة.. وأخشى أنني مضطر لتركك. هل أطلب لك سيارة تقلك إلى منزلك؟

كانت ريا محطمة مشوشة البال فجلست تحدق إليه.. فضحك وهو يتجه إلى الباب.

- سأقول لهم أن يرسلوا لك سيارة.. وداعاً مؤقتاً ريا!

وخرج مغلقاً الباب وراءه. . أما هي فلم تستطع الحراك عدة دقائق. . كان الغضب مستعراً في داخلها. لقد هزىء بها فامتلكتها رغبة كادت تدفعها إلى رمي فنجانها مع صحنه إلى الباب.

كانت لا تزال جالسة على الأريكة، تقاوم غضبها، حين تقدمت سكرتيرة أنيقة ترتدي بذلة أخبرتها بأدب أن السيارة تنتظرها لتنقلها إلى حيث تريد، فارتدت معطفها وخرجت إلى المصعد مبتسمة ابتسامة مصطنعة جامدة. وأوصلتها السيارة إلى الموقف وهناك استقلت سيارتها وعادت بها إلى باسدينا بسرعة لو شاهدها جولي وريتيه لذعرا. لكنها لم تكن تعي مدى سرعتها، لأن عقلها كان يردد ما قاله لها مراراً ومراراً باول، وكان غضبها يرسل شرارات كلما فكرت في اللحظة التي بدأت فيها تضعف وتلين أمام صاحب ذلك الفم الجميل الذي تركها ضاحكاً. . .

داست بقوة على دواسة السرعة، فطارت السيارة متجاوزة صفاً طويلاً من السيارات البطيئة، التي نظر إليها سائقوها شزراً غير أنها لم تلاحظ أحداً منهم، إذ استحوذت على فكرها مشاعر عارمة بالغضب والإذلال.

لماذا فعل بها هذا؟

أحست بمرارة النبذ الحارة تكاد تلسع حلقها.

كانت ظلال النبذ المرير طوال حياتها تلاحقها. . . إنه إحساس تشعر بحساسية مفرطة تجاهه وهذا الشعور هو الوحيد الذي يحطم ويخترق كل دفاعاتها ويدفعها نحو الجنون.

سيمضي وقت طويل قبل أن تستعيد رشدها مما فعله بول مايسون بها.

* * *



## ٧ ـ لن أعود طفلة النفق المظلم

نشر الخبر بعد يومين في جميع الصحف فأصيب ريتيه بحالة توتر مثيرة وحاول أن يعرف ما إذا كانت سيطرة باول مايسون على الشركة أمراً حسناً أم سيئاً بالنسبة لعمل ريا ومستقبلها. قال مفكراً بصوت مرتفع:

ـ السؤال هو. . هل سيكون مستعداً للمفاوضة بشأن العقد؟

ونظر إلى ريا نظرة سريعة ففهمت معنى نظرته تلك، فقد كان يتذكر الاهتمام البارز الذي أظهره مايسون بها، ويفكر كيف يستغله في التفاوض من أجل شروط أفضل.

وقف متثاقلاً ثم خرج بدون أن يزيد كلمة، فلحقت به نظرة جولي القلقة. . . وسألت بدون أن توجه السؤال إلى أحد:

ـ ماذا ينوي أن يفعل الآن؟ وكيف سأتركه يدير مكائده بنفسه؟ إن تركته يبتعد عن ناظري فلا يدري إلا الله وحده ما قد يتوصل إليه. انظري بعد خمسة عشر عاماً حملت طفلاً.

ـ وهل اعتدت على الفكرة الآن؟

ـ وهل لي خيار آخر؟

كانت ريا على موعد لإجراء تمارين ذلك الصباح، فقررت جولي أن ترافقها لتتسوق. ذهبتا إلى المدينة في سيارة ريا وهناك لاحظت أن جولي تنظر باضطراب إلى أمهات كن يسحبن أمامهن عربة أطفال. . ثم تمتمت فجأة:

ـ أتعلمين ريا. . أريد هذا الطفل.

ابتسمت ريا وقد علقت عيناها بالطريق:

- بالطبع تريدينه.
- لم أكن أعتقد - لم أكن أريده في البداية - ولكنني فيما بعد فكرت في أن هذه هي الفرصة الأخيرة لي وكانت هذه الفكرة السبب في تغيير كل شيء وليس في قلبي من قلق إلا ما سأفعل برينيه؟
- إنه سعيد بحملك!
- أوه.. أعرف هذا، ولم أقصد ذلك، لكنني كنت أساعده في كل شيء. ساعدته لبناء عمله من لا شيء.. وهو لا يستطيع الحراك بدوني كما تعلمين... فكيف سيتصرف حينما لن أكون طوال النهار؟ سيكون كالولد الضائع.
- سيعتاد على ذلك، كما أنك أنت لن تتخلي عن كل شيء، صحيح؟
- كنت أفكر في هذا فوجدت أمامي سنوات طويلة حتى يلتحق الولد بمدرسة وقبل ذلك اليوم عليّ ألا أبتعد عن الطفل الذي لا أريد أن يقوم بتربيته أحد سواي فبعدما سأعاني من متاعب في سبيل إنجابه لن أرضى إلا بأن أحظى على السعادة في مراقبته ينمو.
ابتسمت ريا:
- وهذا ما يناسبك ولا أعتقدني أوافق على أمر كما أوافق على ما قلته، فلو كنت مكانك لحذوت حذوك.
تنهدت جولي:
- لكن.. كيف سأزف الخبر إلى رينيه؟ يعتقد رينيه أنني سأستعين بمربية وأنني سأظل أعمل كما فعلت دائماً.
نصحتها ريا:
- لا تبلغيه الأمر فجأة.. بل اتركيه يفهم ذلك تدريجياً. سأندهش إن لم يقترح هذا بنفسه عاجلاً أم آجلاً.
هزت جولي أنفها بمرح:



- إنه يحس بالتملك تجاه الطفل. ليلة أمس وهو مستلق في السرير، أخذ يضع لائحة، وظننته يكتب أسماء أغاني لك. لكن حين نظرت إليها، أتعلمين ماذا وجدت؟ لائحة أسماء.. كلها لصبيان.. ولو كان المولود أنثى لطالب باسترجاع ماله!
كان التعب قد أضنى ريا حين عادت وجولي إلى المنزل مساء، فقد كدت في عملها طوال اليوم وها ظهرها يؤلمها وقدماها تثاقلان ورأسها يضج... قالت لجولي باكتئاب:
- بُح صوتي.. لم أستطع الوصول إلى تلك النغمة المرتفعة.. قلت لمايكل إنني لن أنجح ولكنه يصر على المحاولة.. لمَ هو عنيد إلى هذا الحد؟.
- مايكل يحب الكمال.. ولا يحب الاعتراف بأنك تعجزين عن شيء.
- لا أمانع لو استطاع غناء نغمة واحدة بنفسه، لكنه أسوأ مغن سمعته في حياتي.
ضحكت جولي.
- ليس أسوأ من رينيه في الحمام. إن صوته أشبه بماء يندفع إلى مجرى «بالوعة».
تمطت ريا، ومدت ساقيها أثناء انتظارهما صفاً طويلاً من السيارات المزدحمة المتوجهة إلى ديارها. تأوهت «أحس أنني ميتة».
عندما دخلت إلى غرفة الجلوس بعد نصف ساعة صعقت فقد وجدت باول يجلس متمدداً على الأريكة، يراقبها بسخرية وهي واقفة تحدق إليه وكان رينيه يجلس قبالته، ينظر إليه بمكر. تبعت جولي أعقاب ريا ورمت رينيه بنظرة متجهمة.. قال باول بكسل:
- مساء الخير.

هزت ريا رأسها بانقضاب أما جولي فقالت:
- مساء الخير سيد مايسون.. كيف حالك؟
ثم حولت بصرها إلى رينيه مبتسمة بعذوبة فائقة:
- هل لي أن أتحدث إليك حبيبي؟
ابتسم رينيه بخبث:
- فيما بعد عزيزتي.
- هل لي بذلك حالاً.. يا حبيبي الوسيم؟
وقف رينيه مكرهاً يبتسم لباول ابتسامة مزيفة.
- عذراً باول..؟ سأعود حالاً.
ثم أقفلت جولي الباب وراءهما بهدوء.. وبعد ذلك تبادل باول وريا النظرات بصمت ولكن لم يلبث أن وقف هو قائلاً:
- سأصب لك فنجان شاي.
ردت متوترة وهي تهم بالارتداد عنه:
- سأصعد لأستحم وأغيّر ملابسي.
- أريد التحدث إليك.
لكنها تجاهلته وأكملت سيرها، فقال بصوت لاذع كالسوط:
- الآن!
فتوقفت مسمّرة. أما هو فتقدم إلى طاولة عليها إبريق شاي وفناجين فصب لها الشاي مع بعض الليمون.. وعاد يقدم لها الفنجان. كانت قد خلعت سترتها، فأمسكت الفنجان وجلست على المقعد الذي أخلاه رينيه.
وقف باول أمام كرسيها ويداه في جيبيه، ينظر إليها باهتمام:
- تبدين مرهقة!
نظرت إليه بعنف:
- شكراً لك..



وجدته ريا مثيراً للاضطراب بأناقته وجاذبيته.. كانت تعرف أنها متعبة، فوجهها شاحب وشعرها أشعث بفعل عبث الريح ولكنها لن تكون مسرورة ممن سيقول لها هذا.
أكمل باول كلامه:
- كنت أقول لرينيه إنك بحاجة إلى إجازة طويلة.
- ستكون لي هذه الإجازة قريباً.
- أجل.. ففي الأسبوع القادم ستسافرين إلى برمودا.
التفت يدها على الفنجان الساخن بدهشة، ونظرت إليه فاغرة فاها.
- متى تقرر هذا؟ ومن قرره؟
- منذ عشر دقائق.. وكنت أنا من قرر ذلك.
- اسمع الآن...
قاطعها مبتسماً ابتسامة ساخرة:
- لا تجادلي.. ستذهبين، فإن لم تتوقفي عن العمل قريباً وجدت نفسك يوماً منهارة على الرصيف في الشارع. فلم أرَ قط مرشحة للانهيار أكثر منك.
صاحت تحتج:
- أوه.. لا تكن مضحكاً.. لا أستطيع الذهاب.. لدي ارتباطات عديدة.. وأمامي مواعيد كثيرة علي تسويتها. لا أستطيع التراجع عنها هكذا.
- بل تستطيعين وستفعلين! ما عليك إلا تنفيذ ما يقال لك، أما أمور الإلغاء وترتيب الأمور فاتركيها لرينيه.
- لن أفعل هذا! من تظن نفسك...
أكمل متجاهلاً احتجاجها:
- ستقيمين في فيللا جوشوا دانفرز.

- لن أتخلى عن كل شيء هكذا وأسرع في السفر لا لسبب إلا لأن جنابك طلب ذلك.
- لكن هذا ما ستفعلينه بالضبط.
ردت بصوت يفح من الغضب:
- أتعلم من أنت؟ أنت مجنون مغرور!
رد عليها بهدوء ثابت:
- ستسافرين السبت المقبل.
صاحت به وهي تتوق لرمي الفنجان بسائله الساخن على وجهه:
- لن أسافر!
- ستبقين أسبوعين كاملين لن تفعلي فيهما سوى الاستلقاء على الشاطىء والإصغاء إلى صوت الأمواج.
ابتسم لها ساخراً:
- أليست فكرة مغرية؟ أشعة الشمس والبحر والرمال..
- لا أستطيع إلغاء ارتباطاتي في هذه المهلة القصيرة، فليس هذا بعدل للناس.
رد عليها بنعومة بمد شفتين كادتا لا تنفرجان:
- ربما..
فنظرت إليه باهتمام:
- نعم؟
- اخرسي!
فتحت فمها لترد له الإهانة، وارتجفت بغضب حقيقي أمام سلطته الهادئة، ولكن عينيها اصطدمتا بعينيه، فعضت شفتها، وصمتت، لا تجرؤ على قول شيء.
قال أخيراً برضى:



- هكذا أفضل!
- من أوحى إليك أنك قادر على السيطرة عليّ؟ أنا لست جزءاً من أملاكك..
- لم تصبحي بعد.
- ولن أصبح أبداً، فلا تخدعن نفسك، وسأعطل متى شئت أنا ذلك.
- بل ستعطلين الآن قبل أن تنهاري!
فتحت ثغرها تهم بالرد ولكنه رفع يده:
- قبل أن تتفوهي بما يحرق طرف لسانك، دعيني أشير إلى أنك من أملاك الشركة، ومن مصلحة «تي في ريكوردز» أن تتأكد من عدم انهيارك في الشهر القادم.. كنت أتحدث إلى خادمتك..
- خادمتي؟
- ما اسمها؟ كانندي؟
- إندي؟ كان يجب أن أعرف أنها السبب! لديها فأر في عُبها يقول إنني أبالغ في العمل.. ولو أمعنا النظر لوجدنا أنها هي من تريد فرصة لذا تستخدمني عذراً.
هز رأسه بيأس:
- يا الله.. إنك حقاً أنثى بلهاء ضعيفة النظر!
نظرت إليه وعيناها الخضراوان تلمعان:
- لا تنعتني بهذه النعوت. ألا يكفي ما أعانيه في عملي!
- أنظرت يوماً إلى المرآة؟
- طبعاً، فمظهري جزء من عملي.. ألا تعرف ذلك؟
تغيرت أسارير وجهه القاسي، وحلت محله سخرية رقيقة وقال بصوت دافىء بطيء:
- أووه.. أعرف هذا.. فلم أفكر في أمر سواه منذ رأيتك.

تصاعد الاحمرار إلى وجهها، فوقفت بحدة لتهرب، ولكنه أمسك خصرها، فقاومته ثم حدقت إليه:

ـ أبعد يديك عني! كم من المرات يجب أن أكرّر هذا القول؟.

قاطعها وهو ينظر إلى وجهها الغاضب:

ـ عدت الآن على قيد الحياة لأنك تبدين في معظم الأوقات كمن ذاته محدلة، لا يمكنك المضي يوماً بعد يوم باستخدام طاقتك كلها بدون شحنها من جديد. ريا.. أريد أن تعديني بأنك ستنشدين الراحة مدة أسبوعين على الأقل.

وقفت في دائرة ذراعيه القوية الثابتة تفكر وعيناها إلى الأسفل.. اشتدت ذراعاه حولها وكأنه يود لو يهزها. ثم رفعت رأسها إليه تهزه.. ما كان أشد رغبتها في مجادلته، لكنها تعلم أنه على حق. سألها: «موافقة»

ردت حردانة: «موافقة».

ولكنه لم يتركها، بل أحست بإحدى يديه تتحرك بنعومة على ظهرها، وكان الضغط الدافىء صريحاً.. ثم قال مفكراً:

ـ فيك طفولة كبيرة، وهذه الطفولة كانت السبب في سيطرة مديرك على حياتك، وفي موافقتك على موقعك الحميم في منزله. لقد فعلت ما فعلت لأن ذلك يُشعرك بالأمان ويبعد عنك اليوم الشرير الذي قد تضطرين فيه لمواجهة الحياة كراشدة. يواجه معظمنا مثل هذا اليوم في مراهقته.. لكنك تهربين منه.. أليس كذلك؟ممّ تخافين؟ أخائفة من الأذى؟

أبعدت ريا وجهها عن نظرته وحينما أحست بأصابعه تنسل ببطء من عنقها حتى أذنها ذعرت فلوت رأسها ثانية فوق صدره فتمتم:

ـ لن أؤذيك ريا.



ارتجفت غضباً إنما بإثارة لذيذة:

ـ ألا يعجبك هذا؟

وتمنت لو تستطيع بصدق أن تقول إنه لا يعجبها، ولكن ما ستقوله سيكون كذباً.. إنه يعجبها، وتريد منه أن يستمر بمعانقتها فهي لم تسمح قط لأي كان بالاقتراب منها كما هو قريب منها الآن. لقد حاول رجال عدة الاقتراب منها ولكنهم عادوا فتراجعوا أمام نفورها البارد..

ولكن باول مايسون تابع التقدم، ولا تعرف ما تفعل أمامه. بل أنها لا تعرف ما تفعل بنفسها، كان جزء من عقلها يصر بحزم على أن هذا جنون.. كانت في الماضي تكتفي بما يعطيها عملها من مشاعر لذا وهبته كل ما تملكه من طاقة لبناء مستقبلها العملي، ولهذا لم تنظر إلى أحد البتة..

لكن الآن في عقلها جزءاً متمرداً.. وهذا الجزء هو ما يزعجها كثيراً.

ارجع باول شعرها الأحمر إلى الوراء بيده، ولامس عينيها بأصابعه، فأغمضتهما وأخذت تسحب أنفاسها بسرعة.

تمتم لها مجدداً:

ـ أنت تحملين الحياة على محمل الجد أكثر مما يلزم وآن لك أن تتعلمي تسلية نفسك قليلاً ولعل هذا ما فاتك حتى الآن... وأنا مضطر إلى أن أعلمك كيف تستمتعين بالحياة.

وها هو يعلمها الآن.. ولكن عليها أن تتوقف، ورغم قرارها ذلك لم تستطع أن تتحرك. استطاعت سماع نغمات قلبه تخفق بشدة خفقات رتيبة عميقة وهذا الخفقان كان جزءاً من السحر الذي لفها بخيوطه. ها أحاسيسها جميعها مركزة باهتمام عليه، أما تفكيرها فسقط في سبات عميق. وأما جسدها فتوتر، مترقباً.

حين انفتح الباب، التفتا معاً بحدة كلاهما متورد الوجه مخطوف الأنفاس، مرتجفان من إحساس كل منهما بالآخر.. ودخلت جولي التي حطمت السحر وشتته.. أما ريا فلم تستطع البقاء في الغرفة أمام نظرة جولي المشبعة بالفضول، فأسرعت تتجاوزها بدون كلمة سعياً إلى غرفتها التي شعرت فيها بالراحة.

رمت نفسها فوق السرير نصف باكية ونصف ضاحكة ممزقة بين التسلية وعقدة الذنب، تفكر كيف سمحت له بأن يغويها إلى هذا الحد وكيف سمحت لنفسها بالتجاوب معه. في لحظة كانت تجادله، وفي أخرى كانت في أحضانه.

غطت وجهها بيديها ودفنته في الوسادة.. وجه جولي! ماذا تفكر جولي الآن؟ لقد وجدتها بين ذراعيه بعد كل الاحتجاجات المدوية وبعد كل الادعاءات التي قالتها عنه. كان واضحاً عندما دخلت جولي أنها لم تكن ضحية بين ذراعيه بل بدت غارقة في أحاسيسها.

مضى عليها وقت طويل قبل أن تترك السرير، وتخلع ملابسها لتستحم. استرخت أعصابها حالما استقرت في الماء الساخن المعطر. أغمضت عينيها تحاول نسيان تلك اللحظات بين ذراعيه، ولكنها كانت تعلم أنها كلما تغاضت عن الذكرى عاد كل شيء متسللاً بسرعة إلى خيالها وعقلها ولكنها تعجز إلا عن ذلك فلم يحدث أن اختبرت مشاعر كهذه.

هو يعرف بالتأكيد كيف يغوي امرأة.. إنه خبير في هذا الحقل، ولكن ما أن ينال ما يصبو إليه حتى ينبذها، متخلياً عنها سئماً منها، لينساها. صحيح أنها تتوق إلى أن يعطيها ما يستطيع من سعادة، ولكنها تعرف تماماً أنها ستموت من الألم الذي سيلي هذه السعادة المؤقتة. ستقتل نفسها لو أحبته ثم هجرها بعد أن يملَّ منها.



ثم.. ماذا قال لها على أية حال؟ لقد وعدها بأن يعلمها كيف تمرح وكيف تستمتع بالحياة. لكن ريا لا تريد أن تتبدل طبائعها وعلى المرء أن ينظر إلى الحياة من منظاره الخاص. علمتها الحياة دروساً مختلفة عن العيش، غير تلك التي يعرفها باول. قد تكون الحياة بالنسبة له ملعباً أما بالنسبة لها فهي باردة.. قاتمة، فارغة.

هذا هو الكابوس الذي كان يزعجها كلما عانت الضغط. في الحلم ترى نفسها ضائعة، وحيدة، في نفق قاتم، مع علمها أن هناك في مكان ما أرضاً مشرقة، تعجز عن الوصول إليها. لم تكن تحلم بالوحوش أو بالأخطار المحدقة أو بفراغ الموت البارد بل كانت تستيقظ طالبة النور والموسيقى والأصوات لتملأ فراغ نفسها المؤلم.

خرجت من الحمام ثم جففت نفسها بالمنشفة بلا وعي. عندما نظرت إلى المرآة طالعتها صورتها: صورة ثغرها المرتجف ووميض عينيها الوجلتين. لقد بدا واضحاً عليها ذلك التأثير الذي تركه باول.. وهذا ما زاد في إزعاجها. لقد اقترب كثيراً منها.. ومن الخطر عليها أن تترك أياً كان يقترب هكذا.

ارتدت تنورة خضراء قاتمة بسيطة وكنزة بيضاء وجلست أمام طاولة الزينة تضع ماكياجها. ما هي إلا هنيهات حتى سمعت هدير سيارة مبتعدة، فارتجفت يدها ولكنها سرعان ما تماسكت. لقد رحل باول وهذا مبعث راحة لها. فقررت أن تتخذ الخطوات المناسبة لمحوه من حياتها مهما كان الثمن.. فاليوم تلقت إنذاراً جدياً، ولا حاجة إلى أن يتكرر ما حصل لتفهم معناه.

كان رينيه يرفل في ذنبه حين انضمت إليه بعد عشر دقائق، وابتسم لها:

- مرحباً.. كيف تمت التمارين؟

- لا تسأل عن هذا! ماذا كان يفعل مايسون هنا؟

- كنا نناقش مسألة عقدك. على فكرة، لقد كسب معركة رئاسة مجلس الإدارة، ووعدني حين يعود من سفرته إلى بريطانيا بعد أسابيع قليلة، أن يبحث العقد بجدية.. أخبار جيدة؟

- هل هو عائد إلى بريطانيا؟

- سيسافر الليلة، على ما يظهر.. ولكنه أكد لي أنه سيعود سريعاً.

أقنعت ريا نفسها بأنها ستشعر بالراحة لأنه سيترك البلاد. لقد رفع سفره عن كاهلها حملاً كبيراً وما عليها إلا أن تنساه.

- أقال لك شيئاً آخر؟

كل ما سمعته كان مطمئناً ولكنها لا تدري لماذا أحست بالاكتئاب. نظر إليها رينيه باستغراب:

- عم؟ أوه.. أجل.. لقد ذكر مسألة عطلتك.. فيلا دانفرز تحت تصرفنا، كما قال، ويعتقد أنه حان الوقت لنشدان الراحة بضعة أسابيع.

تمتمت بغضب:

- الفضولي المتطفل!

- وتمسكت بالعقد.. لأن معه الحق. أنت بحاجة للراحة، وقال مايكل إن غناءك بات رديئاً.

- أوه.. أقال هذا؟

- يظن أن تفكيرك غير منصب على العمل هذه الأيام وأنك لا تركزين جيداً وغالباً ما تخطئين في البدء بالغناء في الوقت المناسب هذا عدا نسيانك النغمات.

صرّت ريا على أسنانها:

- لدى مايكل أقوال كثيرة. أليس كذلك؟ لماذا لم يذكر أمامي ذلك اليوم؟



- إنه قلق عليك بل كلنا قلقون عليك.. ستستطيعين بعد بضعة أسابيع تحت أشعة الشمس من الشدو كالطير.. أوه.. هيا ريا.. ألا تشعرين بأن قواك تخور. لقد أعطيتنا كل ما لديك في الحفلة، وهذا ما تركك مرهقة، فمنذ تلك الليلة وأنت تسيرين كالشبح.

أحست برغبة في أن تصيح بوجهه أن سبب كل ذلك هو باول مايسون. ولكنها نظرت إلى البعيد، تمضغ شفتها بغضب.. إن من المستحسن الفرار بعيداً بضعة أسابيع هذا ما اعترفت به لنفسها، فهي تحس أنها غريبة الأطوار مؤخراً.. وتحديداً منذ ليلة الاحتفال.. إذن، ربما رينيه على حق، ربما استنفدت كل ذرة من طاقتها تلك الليلة.. وربما ما تحتاج إليه هو الانقطاع عن العمل فترة طويلة.

قال رينيه بمكر وهو يراقب تعبيرات وجهها:

- موافقة؟

تنهدت:

- موافقة!

ضحك قبل أن يتهالك في مقعده:

- هذه هي فتاتي! لا تقلقي على التزاماتك فسألغيها جميعاً، ثم أحدد مواعيد أخرى حيث تدعو الحاجة. على كل الأحوال ليس هناك ما هو ملح، والتسجيل يمكن أن يتأجل.

لم تذكر جولي شيئاً عما شاهدته حين أقبلت على باول وريا.. فانتظرت ريا منها بعض التعليقات الساخرة ولكنها لم تقل شيئاً. كان كل ما يشغل بال جولي هو العطلة المرتقبة تحت أشعة الشمس، فبرأي جولي أن الجنة هي عبارة عن التمدد طوال النهار تحت أشعة الشمس بكسل واسترخاء، وهذا ما أضحك ريا، فأول ما يلاحظ المرء في جولي هو حيويتها وحركتها الرشيقة الخفيفة التي تجعلها تنهي الأعمال قبل نصف الوقت المطلوب وحين تطلب الراحة تفعل

ذلك بالعزم الذي توليه لأي شيء آخر. فهي تقول: على المرء أن يفعل كل شيء بكل ما أوتي من نشاط.

حدّد السفر إلى برمودا صباح الأحد في الأسبوع المقبل. أمضت إندي نهار السبت توضّب الحقائب.. وكانت موهوبة في عملها هذا، إذ كانت تتمكن من وضع أشياء في الحقيبة أكثر مما يتصوره أحد. وتقول إندي، إن هذا يعود إلى سنوات من الخبرة.. فقد قامت بذلك مرات عديدة حتى باتت تستطيع القيام به وهي نائمة.

سألت ريا وهي تلوّح بثوب نوم حريري:

ـ ستأخذين هذا؟

ـ لا.. الروب المنشفة فقط.. قلت لك هذا.

نظرت إليها راضية:

ـ حاضر.. تأكدي من حصولك على عطلة جيدة.. أتفهمين؟

ـ سيكون ذلك، لا تقلقي.

ـ يحظى دائماً على العطلات من لا يحتاج إليها.

سألتها ريا بفضول وهي محتبية في سريرها تمسك ورقة نوتة موسيقية:

ـ أين ستمضين عطلتك؟

ـ حيث أقضيها دائماً.

ضحكت ريا:

ـ في فرزنو؟

ـ وما خطب هذا؟ أحب الهدوء حين أقضي إجازتي.

دخل رينيه الغرفة مقطباً:

ـ ريا.. عليك أنت وجولي السفر وحدكما غداً.. جدّ عليّ أمر، يجب أن أرى ريكي أونيل، لذا سأبقى يومين آخرين.



رفعت ريا حاجبيها استغراباً:

ـ ريكي؟ لماذا تريد رؤيته؟ ألم تقل إنك لن تكلمه ثانية بعد ما تركك بتلك الطريقة حينما سافر إلى لندن.

ـ أو لا أستطيع أن أغير رأيي؟ لقد اتصل بي منذ قليل يخبرني أنه تشاجر مع وكيله وأنه يريد أن يعود إلى مكتبي. لذلك لن أستطيع السفر معكما واترك هذا حتى عودتي فقد يفوت الأوان ساعتئذ. سأنهي العمل معه ثم أنضم إليكما في أسرع ما يمكن.. أعدك بهذا.

ـ هل أخبرت جولي؟

ـ أخبرتها فغضبت.

ـ لا يدهشني ذلك.

ـ اسمعي.. ريكي صيد ثمين لذا لن أدير له ظهري... تعلمت أن علينا في مهنتنا التمسك بالفرصة المتاحة لنا وهذا ما تعرفه جولي خير معرفة. وكما تعلمين أننا بحاجة الآن في هذه الظروف إلى مال لتأمين حياة جيدة لطفلنا القادم.

تمتمت إندي:

ـ ذلك الطفل المبارك سلام على كل شيء.

نظر إليها رينيه عابساً:

ـ اصمتي أيتها العجوز الساحرة الشريرة! لا أعرف أبداً كيف تتحملك ريا، لو كنت مكانها لطردتك جراً من أذنك.

ـ لن تتمكن من هذا.. لأنني لن أعمل عندك ولو دفعت لي أضعاف ما أتقاضاه الآن.. صبر جولي عظيم ولعل هذا ما أفسدك. إنه الدلال. إن سائر نساء العالم ما كنّ ليتحملنك.

ـ تعنين أنت.. كما أعتقد؟

ـ أوه.. لن أتحملك.. ولو بعد مليون سنة.

استلقت ريا تستمع إلى الجدال القديم المألوف بينهما مبتسمة

ولكن هذا الجدال لا يعني شيئاً لأنهما يتمتعان بتبادل الصراخ ويحبان إطلاق الإهانات، وتلقيها.. إنه كالملح لحياتهما.. رينيه يعرف أندي منذ سنوات فقد ترعرعا معاً في الحي ذاته، ودار كل منهما في بوتقه العمل المسرحي في برودواي، وكان أن عملت أندي مع العديد من النجمات الناجحات.. وهذا المزاح الثقيل بينهما هو نوع من الألفة العائلية التي جعلتها تحس بالأمان في السنوات الخمس المنصرمة.. فلم يكن هناك خصام حقيقي في شجارهما.

لقد جعلها الإصغاء إليهما منذ البداية تشعر بما تكون عليه الشجارات في العائلة الحقيقية. وهذا ما لم تعرفه قط بل هذا ما تاقت إلى اختباره دوماً.

خرج رينيه وأندي تصيح في أعقابه، وكأنها إرهابي فاقد صبره. ونظرت ريا إلى السقف وهي تفكر أن الأمور تبدلت كثيراً منذ ليلة الحفلة.. كانت الحياة قبل ذلك تبدو لها مستقرة، هادئة آمنة.. أما الآن فهي تشعر وكأن الزمن تغير وتبدل بطرق مختلفة. تأثير باول هو جزء من هذا التغيير.. فجولي تغيرت.. والطفل القادم أثر في كيانها كثيراً، فرقت مشاعرها وباتت أقل سخرية وتوتراً. وها هي تلاحظ أن جولي أيضاً لا تهتم هذه الأيام كثيراً برينيه، ولا بها. عائلتهما الصغيرة تتغير والمحاور تتبدل.. وهذا المنزل رغم دورانه حول مستقبل ريا العملي لم يعد كما كان.

جولي تغيرت، ورينيه تغير وهي أيضاً تغيرت لكنها لم تكن مستعدة بعد للبحث في التغييرات الدقيقة في رأسها.. فقد كانت تخاف مما تتوقع لذا أغمضت عينيها عنه.

في الصباح التالي، استيقظت على رنين المنبه فنهضت من السرير حالاً لتستعد ولكن حين تركت غرفتها بعد ربع ساعة وجدت رينيه ملتف بروب المنزل في المطبخ يشرب القهوة بوجه نائم.. ولا



أثر لجولي. فقالت له بإشراق:

ـ صباح الخير.. ألم تستيقظ جولي بعد؟

رد متجهماً:

ـ إنها مريضة جداً لا تستطيع الحراك.

ـ وما الخطب؟

تمتم:

ـ الأشياء العادية.. اتصلت بالطبيب فهذا الغثيان الصباحي لا ينفك يعاودها وأنا قلق عليها.

جلست ريا أمامه شاحبة:

ـ أتظن أن بها خطباً ما؟

رد بحدة وهو ينظر إلى النافذة:

ـ لا أدري. وكيف أعرف؟ الحمد لله، هذه سيارته.. لم أكن أعرف كم سيتأخر. اتصلت به منذ ساعة.

وقف ليفتح الباب للطبيب وفي صوته توتر عميق وغضب. جلست ريا تصغي باضطراب فسمعتهما يصعدان إلى فوق، وسمعت فتح الأبواب وإقفالها... كان إبريق قهوة على الموقد فوقفت لتصب لنفسها فنجاناً، ثم جلست إلى الطاولة ترتشفه.. كانت يداها الباردتان ملتفتين حوله التماساً للدفء.. أرجو يا الله أن لا يكون هناك خطب ما.

جولي تريد الطفل. ربما ذعرت في البداية ولكنها الآن ستتألم كثيراً إن حدث شيء.. انصبت عيناها على الممرات الغارقة تحت أشعة الشمس. كانت الأبواق الذهبية الحية اللون للدالية متدلية في الهواء والحديقة كلها تستحم بأشعة شمس الربيع. في صباح كهذا يصعب التفكير في أن هناك خطباً ولكن الحياة ظالمة في بعض الأحيان.

سمعت الباب في الطابق العلوي ينفتح فذعرت ولكن عندما سمعت الأصوات القادمة شعرت بأن فيها مرحاً بشكل مدهش.. أم تراها متوهمة؟ قال رينيه بصوت مرتفع: «الحمد لله على هذا».

وسمعت الطبيب يرد بصوت منخفض.. وانفتح الباب الأمامي ثم أقفل وبعد ذلك سمعت هدير محرك السيارة وشعرت برينيه يدخل إلى المطبخ فنظرت إليه بحدة:

ـ هل هي بخير؟

ـ يقول هذا.. وأخذ الأمور بروية قائلاً: إن بعض النسوة يصبن بالغثيان في فترة الحمل الأولى ولكنه لا يلبث أن يتوقف بعد أسابيع وليس عليها إلا الراحة فترة.

ـ وهل ستصبح على ما يرام؟

ابتسم مطمئناً:

ـ يقول إن لا مشكلة سوى أنها تحمل للمرة الأولى وهي في الأربعين.

وضع يده على إبريق القهوة:

ـ أما زال ساخناً؟ أحتاج إلى فنجان قهوة.

صب لنفسه، ثم نظر إليها وهو يشرب.

ـ أخشى أن تكون الإجازة ملغاة، بالنسبة لجولي على الأقل.. قال الطبيب إنها ممنوعة عن السفر حتى تستقر حالتها قليلاً.

ـ أوه.. إذن لن أذهب كذلك.

رد رينيه بعناد:

ـ بل ستذهبين.. لا تكوني سخيفة، فهذه العطلة عطلتك.. أنت من تحتاجين إليها لذا ستذهبين. ستصل السيارة بعد دقائق، وحقائبك في الردهة أمام الباب.

ـ لا أستطيع الذهاب وحدي!



ـ ولمَ لا..؟ كل شيء جاهز! ستقلك السيارة إلى المطار ومن هناك تسافرين إلى برمودا حيث تستقبلك سيارة أخرى تقلك إلى الفيلا.. فهل تخشين أن تتوهي في الطريق؟

كان رينيه يمزح ولكن ريا كانت مرعوبة من فكرة السفر وحدها مدة أسبوعين، فهي لم تسافر إلى أي مكان منذ خمس سنوات إلا برفقة أحدهما.. لذا صدمتها فكرة السفر جواً بدونهما.

ـ تمتعي فقط بوقتك.. أما الآن فاصعدي للاطمئنان على صحة جولي.. إنها قلقة لأنك ستسافرين وحدك فلا تكدريها أكثر. أيمكن ذلك؟

وقفت ريا تعده:

ـ أعد ألا أكدرها.. لكنني لم أكن أتوقع أن أسافر وحدي إنها مفاجأة.

ـ أنت فتاة ناضجة الآن، ويبدو أننا جميعاً تغاضينا عن هذا الواقع.. اعتدنا أن نعتبرك طفلة فلم نلاحظ أنك كبرت وما زلنا نراك ابنة السابعة عشرة ولكن على أحدهم عاجلاً أم آجلاً أن يدفعك عن العش لتتعلمي الطيران وحدك.. وهذا لصالحك ريا.

وقفت تنظر إليه شاحبة.

ـ أهذا هو ما يحدث؟ هل تدفعني عن العش؟

ابتسم:

ـ جربي جناحيك فترة.. فمن يعرف؟ قد تجدين أن بإمكانك الطيران دونما حاجة إلى أحد.

تجهم وجهه:

ـ لكن لا تنسي أنني أفضل دماغ تجاري في عالم الأضواء.. ولا أريد أن تحلقي بعيداً.

صعدت ريا إلى فوق فوجدت جولي مستلقية على وسائدها

شاحبة جداً. حين فتحت عينيها عبست في وجه ريا مازحة:

- أسفة لما سببت لك من إرباك ريا.. ولكن، تمتعي بعطلتك ولا تقلقي على شيء.

- هل أنت واثقة..

قاطعتها جولي تهز رأسها:

- أريدك أن تستريحي أما أنا فسأكون على ما يرام، فلن أخرج من سريري حتى تتوقف الغرفة عن الدوران. وحين تعودين سأكون قد تجاوزت هذه المرحلة، فالطبيب يقول إن كل شيء طبيعي.. أهو طبيعي.. أسألك؟ ما هذه الكلمة؟

ضحكت ريا فجولي في جميع الأحوال في شحوبها وعدمه لا تتغير أبداً فما زال صوتها الواهن مصمماً على إيجاد المرح حتى وهي مريضة.

صاح رينيه من الأسفل:

- ريا.. السيارة هنا!

تقدمت ريا لتعانق جولي قبل أن تسرع إلى الخارج، حيث عانقها رينيه بدوره قبل أن يفتح لها باب السيارة، فأدارت رأسها تلوح له وهي تشعر بتوتر غريب وكأنها غير واثقة من نفسها.. فلم يحدث منذ أن كانت في السابعة عشرة أن خرجت وحدها. كان رينيه وجولي قد نظما لها حياتها لذا لا غرابة أن تكون روح المغامرة فيها قد تضاءلت في السنوات التي بقيت فيها مقمطة بقطن وقائي ناعم.

حين انطلقت طائرتها تشق أجواز السماء الزرقاء الواسعة، نظرت إلى الأسفل حيث المباني الصغيرة الشبيهة باللعب التي أخذت تختفي تدريجياً فأحست برجفة متوترة مثيرة غريبة داخلها.. من السخف أن تحس بأنها اليوم وصلت إلى سد منيع في حياتها، قد يحدها بمائه ولكن هذا بالفعل ما يحصل، وكانت القناعة هذه تكبر



في داخلها مع مرور كل لحظة. ولم تعد واثقة ما إذا كان هذا التغيير قد بدأ ليلة التقت مايسون. ولكنها واثقة أنها حين تعود من رحلتها هذه لن تعود كما كانت.

* * *

## ٨ ـ الحكم للقوة

استلقت ريا على منشفة بحر صفراء كبيرة، علت رأسها قبعة من قش بيضاء ظللتها من الشمس وامتدت من فوقها مظلة شاطىء مخططة، وتكسرت من خلفها الأمواج وصدحت في الجو طيور البحر وهي تنقض على المياه الزرقاء.

على مقربة من يدها كتاب يروي قصة مثيرة كانت اشترته من مطار لوس أنجلوس لكنها لم تتمكن من إتمام قراءته لأنها لم تستطع التركيز على قراءة ما يتعدى صفحات قليلة وإلى جانب الكتاب زجاجة من زيت الشمس انتهت لتوها من تدليك بشرتها به.

إنها هنا منذ أربعة أيام، تنعم بأشعة الشمس كل يوم. في البدء حاذرت ألاّ تكثر من ذلك، غير أن بشرتها ما لبثت أن تآلفت مع شمس الجزيرة الوهاجة التي لفّت جسدها بسمرة شديدة. كان الممر إلى الشاطىء ينحدر من الفيلا التي تستطيع من هنا رؤية جدرانها البيضاء في فسحات متباعدة على امتداد الشاطىء. هناك فيلات أخرى رأتها منذ يوم وصولها وكان السائق المحلي الأسمر قد أصر على ذكر اسم ساكن وصاحب كل فيلا. يبدو أن هذا الجزء من الجزيرة مكان فخم والمعيشة فيه باهظة فهذه الفيلات جميعها لأثرياء يبدو أنهم يعيشون فيها في فترات متقطعة ثم يعيرونها إلى أصدقائهم.

حالما وصلت علمت أن في فيلا دانقرز عاملين من السكان المحليين وكانوا قد خفوا لاستقبالها وقد أبلغها السائق أن الموظفين



لا يسكنون فيها بل في مبنى منفصل. وحين خرجت من السيارة أمام المبنى، تمكنت من معرفة الرجل الأشيب ذي الثياب الرسمية الذي خف إلى فتح الباب لها:

ـ أنت دايفدسون.

فأحنى رأسه بوقار:

ـ نعم آنسة.

ولم يبتسم، فهو يحمل الدنيا على محمل الجد ويتوقع من الجميع التعامل معه على هذا الأساس. وكان بعينيه السوداوين اللتين لا يفوتهما شيء يناسب منصباً دبلوماسياً يبرز فيه مواهبه، أكثر من هذا العمل الذي يبدو فيه ضائعاً.

لم يكن يصعب عليه شيء. كان ينفذ لها كل رغباتها ويدير الفيلا بمهارة فائقة، لذا لم يكن يجرؤ أحد حتى الخدم على التطاول عليه وكانوا في تعاملهم معه يحترمونه احتراماً يزيد عن احترامهم لجوشوا دانقرز. وما كان على ريا سوى أن تذكر مثلاً أنها تحب المحار حتى يظهر على طاولة الغداء، وبعد الصباح الأول، حين قُدم لها طعام كثير لم تكد تمسّ منه سوى الفاكهة والعصير عرف ما تريد. لم يكن يفوت دايفدسون شيء وإذا لاحظ أنها لا تحب صنفاً معيناً من الطعام منع الخدم عن تقديمه ثانية. سألته مرة:

ـ منذ متى تعمل هنا دايفدسون؟

بدا وقوراً عندما قال إنه يعمل في الفيلا منذ عشرين سنة.

ـ وهل كان السيد دانقرز يملكها طوال هذا الوقت؟

ـ امتلكها منذ أربع سنوات.

ـ ولمن كنت قبله؟

ـ لسيد إنكليزي لم تره كثيراً باع الفيلا بعد سنة من امتلاكها.

تحرك مبتعداً عن الطاولة منهياً الحديث بأدب وثبات ثم توارى

عن الأنظار. إنه يتجنب الأخذ بأطراف الأحاديث، ورغم كياسته لم يسمح لربا بأن تبادله الأحاديث. كانت تشعر أنه يعتبر الفيلا نوعاً خاصاً من الفنادق وأنه هو مديرها، وبدا لها واضحاً أن السيد دانقرز نادراً ما يأتي إلى هنا، ولكنه كان يعير المكان على الدوام لأصدقاء ومعارف عمل.

كان للمكان لمسة بعيدة عن الواقعية. فهو دائماً نظيف مرتب ولكن رغم فخامة أثاثه وروعة ديكوره بدا لها غير مريح وكانت تجد هذا الشاطىء أفضل منه بكثير لذا فضّلت قضاء معظم أوقاتها خارج الفيلا.

اضطرها خلوها إلى نفسها إلى التفكير كثيراً على الرغم من أنها لا ترغب في ذلك، فحين يكون هناك متغيرات كثيرة من حولك تدفعك غريزتك إلى التمسك بموقفك والثبات ورفض الانصياع، إما جسدياً وإما نفسياً، إلى أن تحس بالأمان ثانية.

أجفلها وقع أقدام كانت تدوس الرمال الناعمة تحت مسمعها فرفعت جسدها تنظر إلى ما حول المظلة ولكن من رأته صدمها وجوده.

ـ مفاجأة! مفاجأة!

وابتسم.

ـ ريكي! ماذا تفعل هنا.

ـ جئت حاملاً رسالة من راعيك..

دنا منها ثم ارتمى فوق الرمال:

ـ يقول رينيه إنه إن كنت لا تمتعين نفسك منع عنك مصروفك.

جلست تنظر إليه باستغراب:

ـ كنت أحدثه منذ يومين هاتفياً ولم يذكر أنك قادم.

ـ قررت هذا بالأمس.



ـ وماذا تفعل هنا؟

ـ ما تفعلينه أنت يا حبيبتي. أنا في عطلة.

نظرت إليه بقلق وتحركت عيناها نحو الفيلا:

ـ هنا؟

فضحك:

ـ لا.. أنا أقيم في الفندق.. ولكن إذا دعوتني..

ابتسمت ولكنها تجاهلته

ـ متى وصلت؟

ـ هذا الصباح.. هاي.. هذا مكان جميل.. هل ستمكثين فيه طويلاً؟

ـ بضعة أسابيع.. هل قال رينيه شيئاً عن جولي؟

ـ وهذه الرسالة الثانية: ليس عليك أن تقلقي إنها بخير، وقد غادرت الفراش، وهي تسبب الصداع لرينيه... وكل شيء عاد إلى مجراه.

تنهدت بارتياح:

ـ عظيم.. كنت قلقة عليها.

ـ لا أكاد أصدق أن جولي حامل.. من كان يفكر في هذا؟ فلا يليق بجولي أن تكون سيدة ترعى شؤون طفل فهي في الواقع من تدير المؤسسة لا رينيه.

ـ هذا تجنٍّ كبير، نعم لجولي عقل تجاري راجح ولكنهما سعيدان بالطفل.

ـ صحيح.. شاهدت رينيه محمرّ الوجه.

ـ هل وقعت عقداً معه مجدداً؟

ـ نحن نوشك أن نوقعه ولكنه مضطر أولاً إلى إيجاد مخرج قانوني لأحلّ العقد مع وكيلي السابق.. لا أستطيع الثقة بذلك

الرجل.. وسأكون مسروراً إن تخلصت منه. إنه سمكة قرش مفترسة!

- علام اختلفتما؟

- وماذا تظنين؟ على المال، وما غيره؟ أكره المال أحياناً لأنه يظهر أسوأ ما في الإنسان.

- لكنك تعلم أنك قادر على الوثوق بريتيه فيما يخص المال.

- ولهذا عدت إليه.

تناولت ريا زجاجة زيت الشمس ووضعت قليلاً على كتفيها وذراعيها، فركع ريكي أمامها ومد يده يأخذ الزجاجة منها.

- سأساعدك.

عندما استدارت أحست بأصابعه تدلك ظهرها بنعومة، بعد قليل سألته:

- كم ستبقى هنا؟

- لم نقرر بعد.

وأعطاها الزجاجة يربت ظهرها.

- هاك.. لقد انتهيت حبيبتي.

التفتت إليه من فوق كتفها:

- نقرر؟

- أنا مع سيدتي الصغيرة هنا!

رفعت حاجبيها دهشة:

- ريكي هل أنت متزوج؟

- نحن مخطوبان منذ ستة أشهر، ومن يدري كل شيء جائز. أنا لا أحب الاستعجال ولكنها جميلة ومميزة، ولا أريد أن أخسرها.

- لا تخسرها أبداً ريكي... أود أن أقابلها.

- ستحب هي ذلك أيضاً. كنت سأصحبها معي اليوم، لكن



ريتيه قال إنك تخلدين إلى الراحة، وإنه لا يريد من أحد أن يزعجك ولكن اعلمي أنها إحدى المعجبات بك، فهي تملك كل إسطواناتك وتكاد تدفعني للجنون بسماعها لأغانيك ليل نهار.

ابتسمت:

- أمر جميل. أتعلم.. غنيت أغنيتين من أغانيك في الاحتفال وأنا معجبة بك.

- نحن جماعة من متبادلي الإعجاب.

ووقفت. إن مظهره الطفولي بشعره الأشقر المسترسل لخادع، فتحت مظهره الطفولي ذكاء وخبث... ما على المرء إلا أن يستمع إلى أغانيه ليعلم أن تحت بساطة الكلمات والموسيقى نهر من الشعر لا يطفو لكنه موجود إذا أردت أن تراه.

وهبت ريا أيضاً تجمع كتابها وزجاجة الزيت، ثم منشفتها ونظارتها.

- سأرافقك حتى المنزل.

وضع ريكي ذراعه حول خصرها بعفوية وقال:

- ما رأيك باجتماع صغير في الفندق مساء الغد؟

- جميل.. سأحب هذا.

فابتسم:

- طيب.. ستصل دايان إلى القمر في سبيل مقابلتك.

- وماذا تعمل دايان؟ هي من عالم الموسيقى؟

- لا.. إنها طبيبة.

شهقت ريا واتسعت حدقتاها.

- أنت تخدعني!

ضحك:

- لا.. فهذا صحيح. إنها طبيبة في مستشفى في لندن.. وهي

بارعة جداً، وفيها ميزات عديدة عدا الوجه الجميل. أظنّ نفسي دائماً أنني أعرف كل شيء عنها، ثم أجد أنني مخطىء، ففي كل مرة أكتشف ميزة أخرى لم أرها من قبل.

ـ تبدو لي سيدة حاذقة.

يبدو لها أن دايان إما شخصية مميزة غير عادية، أو فتاة تعرف كيف تفاجئه على الدوام. تابع ريكي ونظرة حالمة على وجهه: «لم ألتق بمثلها قط».

وصلا إلى شرفة المنزل فتوقفت ريا مبتسمة:

ـ إني متحرقة شوقاً إلى مقابلتها.

ـ إذن، العشاء معاً في الغد؟ سيكون في الفندق استعراض ورقص فنستطيع عندها أن نجد متعتنا.

ـ سأتمتع حقاً.

ـ وهل بدأ الملل ينتابك ريا؟

اعترفت ضاحكة:

ـ قليلاً.

ـ ولكنه مكان جميل فكيف تملين فيه؟ كنت أظن أنك بحاجة إلى عطلة بعيداً عن كل شيء. إنها حياة جميلة هذه. قال لي ريتيه إنك كنت ترهقين نفسك كثيراً.

ـ ألم تلاحظ السوط الذي يستخدمه في سوق العبيد كما أعتقد؟

ضحك ريكي:

ـ هل آتي لاصطحابك أم تأتين بمفردك؟

ـ سآتي بمفردي.

ـ إذن، سأراك عما قريب.

راقبته وهو يبتعد ثم سمعت هدير تحرك سيارة. فدخلت غرفة الجلوس الباردة الظليلة ومنشفتها تتأرجح في يدها، على الرغم من



المتعة التي حظيت بها في العراء تحت الشمس شعرت بالبهجة للمقاطعة، وتحرقت شوقاً إلى الأمسية القادمة. فريكي رفيق نشيط غير متطلب، وفتاته على ما يبدو مثيرة للاهتمام، وربما سعيدة بهما. إن كياسة ريتيه جعلته يقترح عليها هذه الزيارة فهو دقيق الملاحظة إنه رجل، مهما تكن مشاغله، يتمكن بطريقة ما أن يوفر وقتاً لمجاملات صغيرة تجعل الحياة أكثر بهجة للجميع.

تفاجأت ريا عندما رأت ديان فقد وجدتها أفضل مما وصفها ريكي فهي شقراء صغيرة الجسم تفور حيوية، عيناها زرقاوان تلمعان لمعان مياه البحر الهادئة حين تتراقص أشعة الشمس فوقها. وجهها الهادىء يوحي بطيبة ظاهرة، لكنه يخفي وراء قسماته اللطيفة ذكاء وقاداً وذهناً حاداً.

كان الفندق، مبنى كبيراً حديثاً، مشغولاً نصفه في هذا الوقت من نهاية الموسم. بعد العشاء لم يكن هناك في ساحة الرقص سوى بضع راقصين.. ابتسم ريكي لهما برضى تام عن نفسه، وقال:

ـ عليكما أن تتشاركا فيّ، ولا تتخاصما يا فتاتيّ!

نظرت دايان إلى ريا بسخرية:

ـ إنه يغتر بنفسه؟

سأل ريكي متصنعاً الدهشة:

ـ كيف تقولين هذا؟ أنا أكثر الشباب الذين تعرفانهم تواضعاً.

وقفت دايان:

ـ أنا ذاهبة إلى غرفة الزينة، لذلك بإمكان ريا الاستفادة من الرقصة الأولى. وانتبهي إلى أصابع قدميك.. إنه يرقص كالفيل!

أطلق ريكي استهجاناً واحتجاجاً ولكن عينيه تعقبتاها بسرور حتى اختفت وعندما توارت عن ناظريه التفت ومد يده لريا.

أحست ريا بوحدة غريبة.. تبادل المزاح والسخرية بين ريكي

ودايان جعلها تحس بوحدة قاتلة. ليس من المستحسن أبداً أن يكون المرء بين شخصين اثنين متلازمين متلاصقين تلاصق دايان وريكي وعلى الرغم أنها كانت معهما إلا أنها شعرت أنهما يودان لو يخلوان إلى بعضهما بعضاً دون حسيب أو رقيب.

سألها ريكي متلهفاً:

- ما رأيك فيها؟ أليست جميلة؟

- أعجبتني جداً. أنت محظوظ ريكي.. ومحق أيضاً، فهي مميزة.

ودايان محظوظة أيضاً، فريكي شاب لطيف جداً، وهو يجمع إلى جماله ذكاء وقاداً وهما زوجان مناسبان، حسدتهما ريا على سعادتهما الدافئة التي تبرز واضحة حين يتكلمان أو حين يضحكان ويرقصان وحتى حين يتجادلان.

- سنراك لاحقاً.

هذا ما قاله ريكي عندما ودعاها. فابتسمت لهما:

- تعاليا متى شعرتما بالسأم.

ولكنها لم تتوقع رؤيتهما مجدداً، كانا بغاية اللطف عندما دعواها إلى مشاركتهما العشاء ولن تلومهما إن فضلا قضاء الوقت على انفراد.

ذلك المساء، فيما كانت واقفة أمام نافذة غرفة نومها تحدق إلى السماء القاتمة أحست بوحدة قاتلة حتى خافت أن تنام خشية أن يعاودها الحلم الرمادي الذي يلاحقها طوال حياتها... كان ما رأته على ريكي ودايان من سعادة سبباً في زعزعة نجاحها الهش الذي عملت جاهدة لبنائه وضحت بكل شيء لأجله.. كانت مؤخراً تتساءل عما إذا كان حلمها قد تحقق.. ألم تسجن نفسها بملء إرادتها، في تلك الوحدة.. ومنذ زمن بعيد؟



قد تكون بعض المخاوف من النوع الذي يحقق نفسه بنفسه فلو حاول المرء أن يكون حذراً مما يخشاه كثيراً هيأ نفسه بطريقة لا شعورية إلى ظروف تحدقه أكثر فأكثر في شر ما يخشاه فهل فعلت ذلك بنفسها؟

هل فرارها من الألم والأذية أوقعاها في أن تنبذ نفسها إلى الأبد؟ ارتجفت وذعرت فتسللت إلى السرير. تفر من الأفكار الجديدة التي لن تزيدها إلا اضطراباً.

بعد تلك الليلة بيومين وصل ريكي ليلقي عليها التحية. كانت الشمس قد لوحت بشرته بلون ذهبي.

- مرحباً؟ من أين هبطت؟ أين دايان؟

- في صالون التجميل تسرح شعرها. حضرت لأتفقد أحوالك ولأسألك إذا كنت ترغبين في قضاء آخر أمسية لنا هنا معنا، فسنعود إلى انكلترا بعد يومين.

- هذه طيبة منك ريكي، فأنا بلا شك سأستمتع بوجودي معكما.. ولكن هل أنت واثق من أنكما لا تفضلان قضاء آخر أمسية على انفراد؟

- فكرنا أن نجعل المناسبة احتفالاً لأننا قررنا الزواج ونريد أن تكوني أول العارفين.

ضحكت ريا، سعيدة بالخبر:

- هذا رائع! ما أشد سعادتي بالخبر وأنا واثقة أنكما ستكونان سعيدين.

- وأنا واثق من هذا.. إذن ستأتين؟

- بكل تأكيد.

جمعت أغراضها ثم سارت معه إلى المنزل، كانت ذراع ريكي تلتف حول خصرها وكان هو يتحدث عن خططه مسروراً.

- ستظلّ دايان في عملها ولكنها ترغب في إنجاب طفل في السنة القادمة. نريد الزواج لأن كلينا يرغب في الإنجاب. فما أروع أن يكون لي منزل أعيش فيه باستقرار والاستقرار هو ما افتقدته منذ سفري إلى انكلترا.

كانت ريا تصغي إليه وهي تنظر إلى الفيلا. فجأة شهقت بحدة فقد انبهرت عيناها بنور الشمس الساطع حتى ظنت نفسها تتوهم ما ترى ثم لمّا حققت النظر ثانية علمت أنها غير متوهمة فقد كان هناك شخص طويل يتكىء إلى أحد الأعمدة البيضاء. أما الشخص فهو باول مايسون.

لم يكن ريكي قد لاحظ وجوده لأنه كان مشغولاً بالحديث عن دايان، ولكنه صمت فجأة فاغراً فمه وذلك حين التقت عيناه بالتهديد الخطير الذي كانت ترسله عينا باول مايسون. من الغباء التصور أنّه يهددهما، ولكنها كانت تشعر بالتهديد يطل من عينيه بل كادت تلمس هالة من الشر تثب وثباً في ناظريه.

توقفا ما إن وصلا إلى الشرفة وقال ريكي:

- مرحباً!

ونظر إلى ريا التي ناضلت ليبقى وجهها هادئاً، ثم أعاد نظره إلى الرجل المواجه له:

- باول مايسون على ما أعتقد؟ التقينا السنة الماضية في لندن، ولا أدري إذا كنت تذكر.

رد باول:

- أذكر.

تذكرت ريا أول لقاء لهما، وعاودها الإحساس بأن هذا الرجل بارد كالقطب المتجمد. وأضاف باول:

- لم أكن أعلم أنك مقيم هنا.



رد ريكي مرتبكاً من الجو الذي يلفه.

- أجل.. أنا هنا منذ بضعة أيام.. هل أنت في إجازة أيضاً سيد مايسون؟

رد باول بحدة:

- أجل.

- إنها جزيرة جميلة نافعة للعطلات.

كان ريكي يتصنع الأدب في كلامه تصنع من يتلقى عداوة لا يفهم سببها.

قال باول: «أجل».

استطاع باول بطريقة ما من نقل عدم موافقته ولكن ريكي لم يفهم تأويل هذا الصد. أحست ريا بنظرة الاضطراب التي رمقها بها ريكي ولكنها تجنبت نظرته عامدة. أكمل ريكي حديثه:

- كنا نستكشف الجزيرة، ندور حولها في السيارة، نستقل زورقاً إلى عرض البحر، نغطس.. الأمور السياحية المعتادة.

هز باول رأسه وكان وجهه متجهماً كالصوان، ينظر إلى ريكي بطريقة ذكرت ريا بمصارع ثيران يواجه ثوراً هائجاً.. انخفضت نظرته إلى حيث تقبع يد ريكي على خصر ريا، فسارع يسحب يده ونظر إلى ساعته مظهراً الدهشة.

- يا إلهي.. انظروا إلى الساعة! اقترب موعد الغداء..

ثم ابتسم لباول ابتسامة زائفة:

- أنا مقيم في الفندق الجديد، حيث يقدمون مجموعة لذيذة من الأطعمة البحرية.. أتحب الطعام البحري سيد مايسون؟

- لا أحبه كثيراً.. هل كنت تعدّ نفسك للغداء هنا؟

كانت كلماته لطيفة ولكن لهجته كانت حادة كالسيف أما تقاطيع وجهه وهو يوجه السؤال فجعلت السؤال ليس مجرد سؤال بل

مطالبة بالرد. إن الرجل الشجاع وحده يستطيع أن يجيب بـ «نعم» لكن ريكي فضل الفرار من التحدي.

- لا.. لا.. يتوقعون وصولي في الفندق.. أراك فيما بعد ريا، سأتصل بك بخصوص ليلة الغد.

- أجل.. لا بأس.

ولكنها كانت ترد على طيفه المتواري.. وفي السكون سمعت صوت باب سيارته ثم هدير المحرك، وابتعاد السيارة التي راحت إطاراتها تحفر الطريق العام أمام الفيلا.

التفتت إلى باول بغضب وصاحت:

- ماذا قصدت بما وجهت إليه من كلام؟ لماذا هذا العداء كله؟

- ماذا كان يفعل هنا؟

- ريكي صديق قديم، عملت معه منذ مدة. وهو شاب ممتاز والأهم: ماذا تفعل «أنت» هنا؟

- ماذا تعنين بصديق قديم؟ إلى أي حد علاقتك به؟ أتعرفين أنه على علاقة مع شقراء جميلة منذ ستة أشهر؟

هزت كتفيها.

- وإن يكن؟

- وإن يكن؟ ألا تهتمين إن كنت السبب في تحطيم حياة فتاة أخرى؟

- أنا لا أفعل هذا. ولا شأن لي فيما يفعله ريكي.

- ظننتك قلت إنك لا ترغبين في علاقات من هذا النوع، فلماذا اخترت عيّنة مثل ريكي أونيل؟

- لأنه يعجبني.

فليظن ما يريد إذ لا يحق له أن يقف ناظراً إليها باحتقار رامياً عليها الاتهامات جزافاً وهو لا يملك دليلاً إلا رؤيتها مع ريكي. لكن



ردها أشعل غضبه فغزت وجهه القاسي بقعاً حمراء، وبدا أنه يقاوم انفجاراً متوحشاً وأخذ يتنفس بخشونة وسرعة.

كان بإمكانها تجاوزه والدخول إلى الفيلا ولكن في الخارج من المستبعد أن يسترق أحد الخدم السمع إلى حديثهما. فكان أن نقلت المعركة إلى أرض العدو:

- على كل حال، أنا هنا في إجازة، فلماذا لا أسلي نفسي؟

إن كانت تقصد إشعال نيران غضبه فقد نجحت بكل تأكيد إذ راح يسحب نفساً قوياً فيما جمدت عيناه جمود الموت.

- إذن هذا ما تفعلينه هنا.. أليس كذلك؟

جعلتها نبرة صوته ترتجف ارتجافاً غريباً وكانت نبرته هذه قد أرسلت رسالة إنذار إلى عقلها ولكنها تجاهلتها رافضة أن تترك لعينيه الباردتين القدرة على إرهابها وإخافتها.

- ولماذا لا أفعل؟ قلت لي إنه آن لي أن أباشر باللهو. ألست من طلب مني ذلك؟ ألم تقل إنني أحمل الحياة على محمل الجد أكثر مما يلزم.

- لقد قلت أشياء كثيرة لعينة!

خافت من لهجته المتوحشة..

في هذه اللحظة ظهر دايفدسون عند الباب الزجاجي المفتوح المؤدي إلى الشرفة هادىء الوجه غير مضطرب:

- الغداء جاهز سيد مايسون.

- شكراً لك دايفدسون.. سنحضر حالاً.

أحنى دايفدسون رأسه واختفى ثانية، فصاحت ريا.

- ومن دعاك إلى الغداء؟

- أنا دعوت نفسي.

نظر إليها بسرعة نظرة من يتوق إلى الجدال.. فأعطته ريا ما

يريد.

ـ أنت جريء جداً. كان عليك أن تتلقى دعوة أولاً حتى تشاركني الغداء..

ابتعد عنها قائلاً:

ـ لكنني باق في جميع الأحوال.

تبعته مرتجفة غاضبة:

ـ وماذا يعني هذا؟

تابع سيره بخطى طويلة حتى كادت تركض لتتبعه.

ـ سأقيم في الفيلا أيضاً.

صاحت غاضبة:

ـ ومن قال هذا؟ وماذا تعني بأنك ستقيم هنا؟ لا يمكنك! من دعاك؟

رد مجدداً:

ـ أنا دعوت نفسي.

إرسلت برودته الدماء إلى رأسها:

ـ السيد دانفرز...

ارتد إليها مبتسماً ابتسامة أشبه بحد السكين.

ـ لم يعد صاحب الفيلا.

تسمّرت في مكانها تحدق إليه بوجل فتوقف هو أيضاً رافعاً حاجباً ساخراً فوق عينيه.. قالت:

ـ باعها لك؟

ـ إنك ماكرة حقاً.

كان قوله ذاك السخرية بعينها فكادت تضربه.. ولكنه كان ينتقم لنفسه من الوخز الذي وخزته به منذ برهة..

ولكن ما تفكر فيه يخيفها: لقد اشترى باول الفيلا متعمداً،



وخطط لإرسالها إلى هنا، لقد دبر لها شركاً وقعت فيه صاحت بخشونة:

ـ أنت...

مال إليها وأطبق فمها بيده، ليخفي الجملة:

ـ شرير.. لا ينبغي أن تتفوهي بمثل هذا الكلام!

أبعد يده بلا استعجال ممرراً أصابعه على فمها ولكنه لم يلبث أن ابتعد فسارعت إلى رمي الكلمة التي كبحها إلى ظهره كالخنجر:

ـ وغد!

وقف ملتفتاً، لكنها كانت قد تجاوزته لتصعد إلى غرفتها حيث صفقت الباب خلفها ووقفت تتنشق الهواء بسرعة متسائلة عما ستفعل بشأن هذا الوضع الجديد... بعد لحظات طويلة، دخلت الحمام لتستحم، تاركة الماء يتناثر على جسدها الذي أدفأته حرارة الشمس.

جففت نفسها وهي تعض شفتها، تفكر في التهديد الذي يمثله وجود باول مايسون في الفيلا. بإمكانها إعداد حقائبها والرحيل.. أو الانضمام إلى ريكي وفتاته في الفندق. نعم هذا أفضل ما قد تفعل.. ولكنها كانت مقتنعة أنها ستمضي وقتاً صعباً في محاولة الخروج من الشرك الذي نصبه باول لها. فهي لن تستطيع السير حتى الفندق، وستحتاج إلى سيارة، وقد يحاول منعها من استعمال واحدة.

ارتدت ملابسها ببطء، وكان ما ارتدته فستاناً أخضر ذا ياقة تمتد حتى الكتفين. كانت بشرتها ساخنة بعد قضائها ساعات تحت أشعة الشمس لذا وجدت من المريح أن تكشف كتفيها.

كانت على وشك الخروج من الغرفة حين وقع نظرها على الهاتف قرب سريرها. فومضت عيناها قبل أن تسرع لالتقاط السماعة

ولكنها فوجئت حين لم تسمع شيئاً. فحركت أزرار الهاتف ثانية بلا جدوى. لا حرارة في الهاتف.. وضعت السماعة مكانها تفكر.. هل هذه مصادفة؟

حالما خرجت وجدت باول في غرفة الطعام مع دايفدسون الذي انحنى لها قبل أن يسحب لها كرسياً، فنظرت إليه بحدة:

- يبدو أن الهاتف معطل.

- أخشى أننا غير قادرين على الاعتماد على الهاتف في هذه الجزيرة آنسة. وما من شك أنه سيعود إلى العمل قريباً. لقد أعلمت الشركة.

ربما يقول الحقيقة، ولكنها لا تستطيع أن تعرف إن كان كاذباً أو صادقاً. جلست ببطء تنظر إلى حيث جلس باول فالتقت نظرتها الباردة بنظرته الهازئة ساخراً: «أمر مؤسف، أكانت المخابرة هامة؟».

- أجل.. كنت أريد أن أطلب سيارة تقلني إلى الفندق.

وضع دايفدسون طبقاً كبيراً من الفاكهة المختلفة أمامها: قطعاً أنيقة من البطيخ والبرتقال والغريب فروت، والموز الممزوج بعصير الكرز المثلج.

كانت ريا تنتظر رد فعل باول على ما قالت.. تقدم دايفدسون ليضع طبقاً مماثلاً أمام باول الذي لم يتكلم حتى غادر دايفدسون الغرفة.

- أنت لن تذهبي إلى أي مكان ريا.

اشتدت يدها حول الشوكة وكأنها تريد أن تضربه بها. كانت تتوقع مثل هذا الرد ولكنها غضبت عندما سمعت رده فصاحت:

- من يقول هذا؟

ابتسم ساخراً:



- أنا أقول.

وبدأ يأكل.

- لا يمكنك منعي.. أو تصدق حقاً أني سأمكث هنا معك؟ سأعد حقائبي لأرحل، وأريد سيارة تقلني إلى الفندق.

- لن تحصلي على سيارة.. ولن ترحلي بل ستمكثين هنا.

* * *

## ٩ ـ ما تحت الرماد...

فيما كانت تفتش في عقلها المرتبك عن رد مقنع يجعله يدرك أنه لا يقدر على تنفيذ هذا التهديد البارد، غير باول موضوع الحديث، ليفاجئها مرة أخرى:

ـ ما شعورك تجاه حمل جولي؟ إن حملها سيخرجك من دائرة اهتمامهما.

ـ سررت عظيم السرور بالخبر.

ابتسم ساخراً:

ـ صحيح؟

ـ بكل تأكيد!

ـ لا أصدقك فبعد اليوم لن يعود اهتمامهما منصب عليك. وأنت دون شك تتوقعين أن تتغير الأمور منذ الآن فصاعداً، انظري إلى هذه العطلة مثلاً.. أما كانا سيرافقانك؟ طبعاً كانا سيفعلان لأنهما اعتادا أن يرافقاك إلى أي مكان أو على الأقل هذا ما كان حتى الآن.. ما كانا يتركانك تتحركين قيد أنملة دونهما، هذا ما فهمته حين تناولت العشاء في منزلهما.

ـ أنا لن أتباحث معك شؤون رينيه وجولي!

رد ببرود خشن:

ـ ستناقشين ما أريد أن أناقشه أنا!

نظرت إليه بعينين شريرتين كعيني قطة شرسة، ولكن غضبها



هذا سلاه أكثر إذ قال:

ـ أفهم كيف بدأ الأمر.. كنت بحاجة إليهما في البداية.. كنت صغيرة جداً فلم يسمحا لك بالذهاب إلى أي مكان دون حماية.

التقى حاجباه الأسودان، ونظر إلى الطاولة مفكراً:

ـ شاهدت شباناً صغاراً كثيراً يُدمرون. ثمة سمك مفترس خلف كل صخرة في هذا الميدان. أعتقد أنك كنت محظوظة عندما التقيت برينيه.

ـ أعرف هذا.. كان هو وجولي رائعين معي لذا أنا مدينة لهما بحياتي المهنية كلها.

ـ وهما مدينان لك. كنت الماسة غير مصقولة التقطك رينيه من الشارع فصقل أطرافك الخشنة قبل أن يضعك في المكان المناسب ولكنه لم يوصلك إلى ما وصلت إليه بنفسه بل وصلت بفعل ساعدك.

ـ لا تكن سخيفاً!

التوى فمه:

ـ منحته قوة فائقة، فقد رفعه وجودك معه إلى القمة وكان أن اضطر العاملون في الحقل الفني إلى الإصغاء إليه والنظر إليه نظرة جادة. أنت تدركين كم غيّر وجودك معه من نمط حياته، فليست حمقاء. لقد ضاعفت دخله أضعافاً مضاعفة منذ وجدك.

تمتمت نافذة الصبر:

ـ أوه.. المال.. المال.. وماذا عن دخلي أنا في السنوات الأخيرة..

قاطعها:

ـ نعم أفهم قصدك. لقد أمّن كل منكما للآخر الربح الوفير.. ولكنك لم تعودي طفلة صغيرة بل أصبحت راشدة لذا آن لك أن

تقطعي الأسلاك التي تربطك برينيه والتي يحركك بها منذ كنت في السابعة عشرة. ابدئي بالسير وحدك ربما!

ـ كنت حرّة دائماً وإن كان رينيه يدير حياتي فقد حدث ذلك برضاي. لم يجبرني على فعل شيء قط بل كان ما بيننا شراكة ولكنني أعرف أنه لا يريد لي إلا أفضل مكانة وأنا أثق به وبحولي! يجب أن أجد الثقة في مكان ما. وإلا لن أكون واثقة أن ما أفعله صواباً.

رد بخشونة:

ـ ولكنك تركته يدير حياتك أكثر مما يلزم، فأنت لم تتطوري البتة بل بقيت ابنة السابعة عشرة.

ـ لا تعرف عما تتكلم!

ـ لا أعرف؟

عندما تحرك علمت أنه يوشك أن يقف ليتقدم إليها. كان التهديد قائماً في عينيه، فارتدت إلى الوراء وانكمشت في مقعدها حابسة أنفاسها.. ثم.. فتح دايفدسون الباب، فاسترخى باول ومسح التوتر عن وجهه وكأنه ساحر. أبعد دايفدسون الأطباق المتسخة ثم بدأ بتقديم الصنف التالي من الطعام. أكملا طعامهما بصمت ودايفدسون يدور حولهما مقدماً ما لذّ من أطعمته.

ـ ما رأيك بالفيلا؟ (سألها).

فقالت إنها جميلة رائعة وهادئة جداً. ثم أردفت:

ـ ما أروع أن يكون عندك منزل على شاطىء تسرح فيه وحدك.

قال لها باول إن عليها أن تكون حذرة عندما تسبح وحدها لأن المدّ هنا قوي وخداع، وما أسهل أن يجرها إلى المياه العميقة.

ـ هذا ما حذرني منه دايفدسون.. لماذا اشتريتها من السيد دانقرز؟



نظرت إليه متعمدة، نظرة خبث وسخرية، فتلقت نظرة مبهمة.

ـ أنا من بعتها له أصلاً ولكنني عدت فندمت على ذلك لذا أجبرته على إعادتها لي فكانت من بين الأسهم التي اشتريتها.

ـ هكذا إذن.

نظرت إلى دايفدسون وهو يريها طبقاً شهياً من طعام بحري.

ـ شكراً لك.. أريد قطعة واحدة فقط.

قدمها إليها ثم تحرك مبتعداً.. إذن كان باول مايسون السيد الإنكليزي الذي ملك الفيلا فيما مضى.. إن دايفدسون لكتوم حقاً فراقبته يقدم الطعام لباول ثم ينسحب مغلقاً الباب وراءه.

ـ كنت قد طلبت منه الفيلا قبل لقائي بك.

ردت وهي تأمل بجوابها أن تمسح البسمة عن وجهه:

ـ لو كنت أعلم أنك تملكها، لما جئت إلى هنا أبداً.

قال ببرود:

ـ كنت أعرف هذا.

ـ ولماذا لم تخبرني!

هز كتفيه دون أن يرد فأبقت نظرها مثبتاً عليه:

ـ وهل تتوقع أن أقيم معك هنا الآن؟

دفع طبقه عنه، وتراجع إلى الوراء فأحست أنه يرى ما لا يراه الآخرون، وهذا ما جعلها تذعر، وهو إحساس ما زال يلازمها منذ اللقيا. وقال:

ـ فلنوضح أمراً! أنا لست هنا لأقنعك بمغازلتي.

ذعرت لأنها مضطرة إلى تصديق قوله المباشر الحاد ولكنها تتذكر أيضاً طريقته عندما يتحبّب إليها فكيف تصدق قوله.

سألته بازدراء:

ـ هل تستغرب إن لم أصدق كلامك؟

- لو كان ما أريد علاقة عابرة، لحصلت على هذا أينما كان. فلم يحدث أن وجدت مشكلة في الحصول على امرأة. فحينما يملك المرء مالاً يحصل على ما يريد.. إنها مسألة ثمن، لا غير فلمعظم الناس ثمن يا ريا، وليس على المرء إلا أن يعرف ما هو ليدفع ثمنه.

كسا وجهها احمرار مؤلم، فأشاحت بوجهها تبتلع الغثيان المتصاعد إلى حنجرتها، فراقبها لحظات، ثم قال بهدوء:

- لا يعجبك هذا؟

- لا..

كرهت ما سمعت ففي صوته مرارة وهذا غريب، فما الذي وضع هذه المرارة في نفسه. آلمتها التصورات وطغت عليها مشاعر مؤلمة لا توصف ببساطة على أنها الغيرة.. لكنها لا تعرف ما هي.. ولا تعرف كيف تصفها.. هي تعرف شيئاً واحداً هو أنها لا تريد أن تتصور باول مع امرأة أخرى!

- وماذا عن زوجتك؟

- أحببتها إنما كان ذلك منذ زمن بعيد ريا.. أجد أحياناً صعوبة في تذكر وجهها. كنا شابين صغيرين عندما ماتت. لم أعد ذلك الشاب الذي أحبها.. لقد تغيرت.. وتقلمت.. ولم يبق لي منها سوى ذكرى بعيدة.

أصغت إليه وجبينها متغضن عابس:

- ولم تتزوج بعدها؟

هز كتفيه:

- لم أجد امرأة لا أستطيع الاستغناء عنها.. لم أكن مستعجلاً للمخاطرة في الوقوع في الحب.. ولهذا أفهم ترددك وخشيتك من المخاطرة، فقد عرفت أن الحب مؤلم إن فشل ولكن إن نجح يا ريا فقد يجعل الحياة سحراً.



ظهر دايفدسون وهو يقول إن القهوة في غرفة الجلوس، فوقف باول وتقدم إلى ريا ليضع أصابعه تحت مرفقها، فأحست بقلبها يخفق بين جنبيها من تأثير لمسته هذه فغضبت من نفسها لذا حالما تركها سارعت للجلوس على الأريكة، فوقف ينظر إليها وكأنه يحاول أن يقرأ ما على وجهها.

جلست على حافة الأريكة تصب القهوة لهما. وسألت:

- حليب؟ سكر؟

هز رأسه نفياً، ومد يده. فوضعت الفنجان فيها وأحست بطرف أصابعه تلامس بشرتها فأسرعت تسحب يدها. تقدم ليجلس إلى جانبها بعدما وضع الفنجان على الطاولة وسأل:

- الآن وقد أوضحت نواياي.. أتحسين بالراحة؟

- ما زلت غير واثقة من نواياك. قلت إنك لا تريد إغوائي.. إذن ماذا تريد مني سيد مايسون؟ وماذا تفعل هنا؟

- قلت لك أكثر من مرة.. أريد أن أتعرف إليك، أريد الدخول إلى أعماقك بحثاً عن حقيقتك. عندما شاهدتك على المسرح تلك الليلة شاهدت فتاة تحترق من الإثارة.. ولكنني منذ تلك الليلة لم أشاهدها وأريد أن أعرف إذا كانت موجودة خارج المسرح أم أن ما رأيته كان وهماً وخيالاً أو خدعة مسرحية تستطيعين بسهولة الانسحاب منها، أو نسجها حين تغنين.

أحست بجفاف فمها، وارتجفت لأنها شعرت بتوتر يجري في جسدها كله. وأكمل باول:

- لن اكتشف شيئاً إن شاركتك السكن في هذا المنزل ليلة أو ليلتين، فأنا أريد ما في أعماقك.

صاحت به بصوت مرتعد:

- أنت تزعجني!

فالتمعت عيناه واحمرتا:

- لماذا؟

همست قائلة:

- لأنك تطلب الكثير.

ازداد اللمعان في عينيه، ولم تفهم لماذا. ما الذي قالته ليثير اهتمامه ورضاه.. قال بخشونة:

- أريد كل شيء.. أريدك كلك.. وإذا كانت تلك النار موجودة في أعماقك أريد أن أسير إلى داخلها لأحترق..

ارتعش الفنجان في يدها، فنظرت إليه وإذا بيده ترتعش. أجبرت نفسها على رفع الفنجان لترتشف منه القليل. عندما استدار باول ليأخذ فنجانه، فكرت في أنها إلى الآن شاهدت بأم عينها التهديد الذي سببه وجوده، جسدياً على الأقل، ومع أنها صدقته حين قال إنه لن يقدم على إغوائها ولكن نواياه الحقيقية تثير فيها اضطراباً أشد قوة.. لقد حرست أبواب قلبها منذ مدة طويلة لذا مجرد التفكير في ما يشكله من تهديد يرعبها... فهو قاس لا رحمة في قلبه. ولن يكتفي بأقل من الكل، منها، ولسوف يتلف أعصابها مستنزفاً من كل ما هو حي فيها. أحست بالسقم بسبب خوفها من نواياه.

أنهت قهوتها، وضعت الفنجان من يدها ثم وقفت. فوضع باول فنجانه بقوة من يده ووقف ليمسك بذراعها.

- إلى أين تظنين أنك ذاهبة!

- سأوضب حقائبي وأرحل.

اقترب وجهه منها، وقوة إرادته بادية في كل حنايا جسده.

- لقد عنيت ما أقول ربا.. ستبقين هنا حتى أجبرك على فهم ما يجري بيننا وعلى فهم ما قد تحصل عليه إن توقفت عن الهرب



كالجبانة.

- لا يمكنك إجباري بالقوة!

- لو أصغيت لي، لما اضطررت إليها.

- أصغيت بما فيه الكفاية. فلماذا لا تحاول الإصغاء إلى نفسك لترى رأيك بنفسك؟ ما كانت ستكون ردة فعلك لو حدثك أحدهم بهذه الطريقة؟ أتتوقع مني أن أكون سعيدة لأنك تريد أن تكون شيطاناً عاشقاً يبغي ابتلاعي حية شئت أنا هذا أم أبيت؟ أتلومني لأنني أفضل الهرب ولو سيراً على الأقدام.

تحرك فمه غاضباً:

- أهكذا ترين الأمر؟

نظرت إليه متخوفة:

- أجل.. أشعر أنك لن تدعني أنقذ ذرة من كياني. تتحدث عن تحكم رينيه بي وبحياتي قائلاً إنه يعاملني وكأنني طفلة. وأنت ماذا تريد؟ أليس هذا بالضبط ما تريده؟ لماذا تتهم رينيه بما تريد أن تفعله أنت بنفسك؟

ترك ذراعها ليمسك وجهها بين يديه. كانت راحتاه دافئتين حول وجنتيها وضغطهما قاسياً غير متردد، رفع رأسها إليه لينظر في عينيها الخضراوين المذعورتين فقال بإيجاز:

- كان يقف في طريقي.. كنت أرى أنهما يعيقان دربي ويقفان حائلاً بيني وبينك.

- أنا من أردت هذا!

- أجل، هذا ما أدركته متأخراً وهو ما أثار تساؤلاً. لماذا.. يا ربا؟ ماذا تخفين خلف الحواجز التي تضعينها كلما اقترب أحدهم منك؟ هل أنت مشلولة عاطفياً؟ ألا يمكنك التجاوب مع الناس إلا على المستوى السطحي؟

حاولت تجنب نظراته، إلا أنه شدد ضغط يديه على وجهها، حتى كاد يهرها.

- ردي علي!

- ولمَ أرد؟ لا يحق لك أن تصرّ على السؤال فأنت تعرف عني ما قد يعرفه أي كان.

- هنا يكمن الخطأ فأنا ما بدأت بعد بالتعرف إليك.

رفعت أهدابها ببطء، ونظرت إليه وكأنها تتوسل:

- باول.. ألا تستطيع أن ترى أن لا مستقبل لنا معاً؟ ولن ننجح.

التمع وجهه بالنصر، وارتجف فمه.

- أنت تدركين أنك تعترفين بشيء ما.. أليس كذلك! أنت تتقبلين واقع أن هناك «وجوداً» مع أنك تحاولين القول أن لا مستقبل له. ومهما حاولت الإنكار، تعرفين أن هناك شيئاً قوياً بيننا وهذا الشيء كان موجوداً منذ البداية. لم أكن أحس به وحدي، ولكنك ما أن نظرت إلي نظرة واحدة حتى رحت تهربين، ولا شك في أن هناك شيئاً قوياً لذعرك هذا. أنت تخافين مما تشعرين به لكنك أحسست به.

أحست برجفة تخترق أعماقها، بمشاعر ملحّة شعرت بها منذ وقعت عيناها عليه وهي منذ ذلك الحين تكافح ضدها ولكن عقلها كان عاجزاً عن إسكاتها. ارتجفت شفتاها وعلمت أن جفنيها يطبقان فوق عينيها، وأن جسدها يرتجف.. قاومت مشاعرها ولكنها فقدت القوة، وها هي الحبال التي تشل إرادتها تجرها إلى مد متدفق من المشاعر الحارقة.

ترنح جسماهما معاً. والتفت يداها بطريقة لا شعورية حول عنقه حيث أمسكت شعره الأسود الكثيف، وجذبته إليها. فرفع رأسه قليلاً، وعيناه نصف مغمضتين، وكيانه كله يرتجف إزاء جسمها.



كان تفكيرها قد شُلّ كلياً وكانت تتعلق به تعلقاً شديداً. وها الحب قد جعل عينيها الخضراوين تتوهجان وتومضان. وتمتم: وهذه هي البداية. أنت تشعلين النار بي.. تجعلينني أرغب في الانطلاق والاشتعال بلهيبك حتى لا يبقى مني إلا الرماد. ألا تعلمين أن هذا ما تفعلينه لي؟ أو ما يفعله أحدنا بالآخر؟

أخفضت رأسها بوهن حتى استقر جبينها على صدره. فمد يده يربت مؤخرة عنقها حيث يتدلى شعرها الناري اللماع. حرّك فمه خصلة حريرية منه، وهمس وكأنه يتأوه:

- حبيبتي!

فتمتمت:

- لا أستطيع.

- بلى!

- لكن عائلتك لن تتقبلني. ولا أستطيع أن أصبح زوجتك باول.. وأرفض أن أكون خليلتك... ولا أريد أن يكون لي قطعاً صغيرة منك، حين تتاح لك الفرصة.

رفع رأسها بيديه القويتين ينظر إلى عينيها بحنان:

- ربا... الآن نحن نتكلم باللغة ذاتها، فأنا كذلك لا أريد قطعاً صغيرة منك ربا.. ألم أقل هذا مراراً. قلت إنني أريد التزاماً كاملاً.. أريد كل شيء فيك. أما عائلتي فلن تتزوجي بها بل ستتزوجينني أنا.. ولكن لماذا بحق الله لن يقبلوا بك؟

- أنا نكرة أنا فتاة مجهولة.. من لا مكان. لا أعرف عن نفسي إلا أن والدي ربما كانا مجرمين أو وحشين. من يعلم من أي نوع من النساء أتيت؟

- هل حاولت مرة أن تعرفي؟

- لا.. ولا أريد أن أعرف.

- ولمَ لا؟
- لأنني أفضل عدم المعرفة!
- لماذا؟

لم يشأ أن يتركها تصرف النظر عن الموضوع بسهولة، لذا بقيت عيناه على وجهها تراقبانها بإمعان. لم ترغب في أن ينظر إليها وكأنه يحاول اختراق ذاتها وأعماقها فهذا ما تريد تجنبه إنها تتجنب الناس لئلا يعرفوا عنها شيئاً، ففي عقلها فراغ مظلم قاتم ملؤه الألم الدفين عميقاً. إنها تحاول نسيان ذاك الألم ما وسعها إلى ذلك سبيلاً، وهي تأبى أن يخرج هذا الظلام إلى النور حيث يراه باول. قالت:

- كائناً من يكون ذاك الذي تخلى عني، فهو شخص لا أريد أن أعرفه.
- تكرهين والديك؟
- وماذا تتوقع؟ إن ما فعلاه يثير الاحتقار لذا هما لا يستحقان إلا الاحتقار الذي لن يكون لهما عندي سواه.

ظهر الألم الدفين منذ زمن بعيد في صوتها، فلف باول ذراعيه حولها وضمها إليه بقوة. بدون أن يطالبها بشيء كان يقدم إليها باحتضانها بهذه الطريقة الاطمئنان كله. سألها بلطف:

- لكن هذا غير صحيح. أليس كذلك؟
- ماذا تعني؟

لم تكن قد استسلمت بعد لعناقه الحار، فتشنجت بين ذراعيه سجينة داخل نفسها، سجينة الألم الذي تحاول إنكاره.

- لو كان كل ما تكنينه لهما هو الازدراء واللامبالاة لما لاحقتك الذكرى هكذا. ولأنك تهتمين للأمر كثيراً تعجزين عن الاستسلام لأي إنسان آخر، فأنت تخشين أن تتألمي إن هُجرت مرة أخرى.

قالت بخشونة:



- بل قل إن رُميت كالنفايات في الشوارع تحت المطر.. لماذا تنمق الأمر بكلمات لطيفة؟ إن الجميع قد يتخلى عنك في النهاية لذا لا يمكن لي الثقة بأحد..

عندما تهدّج صوتها تحركت يداه على ظهرها يطمئنها ويواسيها. سألها بلطف: «حتى رينيه وجولي؟»

- حتى هما.

وصمتت. فسألها:

- أترفضين الطفل؟

ردت:

- لا.. بالطبع لا.. أنا سعيدة لهما.. لكن..
- ولكن هذا يعيد إلى قلبك البرودة مرة أخرى.

فتنهدت تنهيدة عميقة:

- أنا لست أنانية إلى هذه الدرجة، فلن أرفض طفلاً سيجلب السعادة لهما.
- كوني صادقة مع نفسك وأخبريني ما الذي تفتشين عنه حقاً.. غير الحب؟ الحب الذي لم تعرفيه قط من والديك أو من غيرهما، إنه ما نبحث عنه جميعاً. ألا تدركين هذا؟ الكائن البشري بحاجة للحب كما حاجته الأوكسجين. إنه الحاجة الأساسية للحياة.. لقد حرمت من العاطفة منذ مولدك.. ولم تتعلمي قط كيف تُحبين لكنني سأعلمك.. فالمشاعر موجودة فيك وأنا بحاجة إلى كل ذرة منها كحاجتك إلى الحب الذي أقدر أن أهبه لك.

نظرت إليه ودموعها تحرق لحاظ عينيها وأهدابها ترمش بسرعة. صاحت كالطفلة:

- لا أرجوك كفى! أنت تخيفني حتى الموت!

ابتسم:

- أمر عظيم.. هذا يعني أنني بدأت أؤثر فيك وأنني لا أتكلم فقط مع نفسي.. أنت تصغين إلي، وتتجاوبين، مهما حاولت جاهدة العكس.

- وماذا تتوقع مني؟

- ما سأعطيك إياه فقط.. الحب.. تلك النار التي تركتها دفينة في نفسك طويلاً يا حبيبتي.. هذا ما أريده منك! أعلم أنك حذرة وحساسة وصعبة المراس.. ولكنني مستعد لحصار طويل وأعدك أن أصل في النهاية، إنما ليتك تتوقفين فقط عن النظر إلى الماضي الذي لا يمكنك رؤيته والبدء بالتطلع إلى الأمام إلى المستقبل الذي يمكننا أن نتشاطره.

- ألا يزعجك ألا تعرف أبداً نوع الدم الذي يجري في عروقي؟

- لا.. فالله وحده يعرف النوع الذي يجري في عروقي أنا.. لا أعرف عن عائلتي إلا تاريخاً لا يتعدى بضعة أجيال أما قبل ذلك فأجهل كل شيء ولربما انحدرت من سلالة قراصنة أو مجرمين من يدري؟

تأرجحت بين الضحك والبكاء:

- لن يدهشني ذلك.

لمعت عيناه فرحاً:

- بصراحة، ولا أنا.. فلوالدي ميول القراصنة في بعض الأوقات.. ولكن إن كان هذا يقلقك حقاً، يمكننا أن نجد شيئاً عن ماضيك.. فأنا أشك في أن يكون أحد قد اهتم بالبحث عن والديك وأنا واثق أنني أستطيع أن أجد شيئاً. بإمكاننا إطلاق مجموعة من المخبرين.

أحست بشيء من الضيق يقبض على صدرها.. فترددت، وبعد انتظار أكمل:



- الأمر عائد لك تماماً حبيبتي.. أنا لا أهتم لنفسي.. إذا كان هذا سيريح نفسك فلماذا لا نفعله؟

أغمضت عينيها مفكرة، وحين فتحتهما، التقت بعينيه:

- لا.. لا أريد أن أعرف.

قال بلطف:

- أظنك حكيمة لاتخاذك هذا القرار إذ يصعب بعد مضي هذا الزمن كله أن تجدي ما تقولينه لأي منهما. إنها علبة ألغاز خطيرة، فلا تفتحيها ربا.. وإن استطعت دفع الذكرى بعيداً تمكنت من العيش خارج الملاجئ، واستطعت مواجهة نفسك ومواجهة العالم!

نظرت ربا إليه فرأت تقاسيمه الوسيمة وعينيه الرماديتين القاسيتين وفمه القوي كما رأت عجرفته التي تبعث الثقة إلى النفس والتي لم تخسر يوماً معركة. قالت:

- أنت تخيفني سيد مايسون، عرفت منذ رأيتك أنك كالجرافة لا يقف في وجهك شيء، أنت تحطم كل معارضة وتمر فوقها.

التوى فمه مرتعشاً وقال ببرود:

- أنا رجل يعرف ما يريد حين يقع نظره عليه.

- أجل.

- ويحصل عليه.

فنظرت إليه بقلق.

- سنرى في هذا الأمر!

فابتسم يداعب وجهها بإحدى يديه:

- هل أتيت إلى هنا وأنت تنوين الخروج من قوقعتك ربا؟

قطبت:

- ماذا تعني؟

- أعني ربكي.. قال إنك تتعلمين السبيل إلى المرح، هل كنت

تريدينه رفيق مرحك؟

ضحكت:

- لا.. لربكي فتاته في الفندق. أما عندما رأيته فكان يزورني لينقل إلي رسالة من ربيبه.

- لماذا أعطاني انطباعاً بأن هناك شيئاً بينكما؟ أكنتما تحاولان إبعادي؟

- شيء من هذا القبيل.

- وهل تظنين أن من السهل إحباط عزيمتي؟

- أنت استنتجت ما تريد فلم أر سبباً للإنكار.

تفرس بها ورأسه إلى جانبه.

- لن تسهلي عليّ الأمور.. أليس كذلك؟

ابتسمت:

- لا.

تأكدت أنها شاهدت نظرة رضى على وجهه. باول معتاد على الأمور السهلة طوال حياته.. ما كان عليه على الدوام سوى أن يمدّ يده ليقع ما يريده في راحته. لكن ربما لا تريد أن تقع في يده كحبة خوخ ناضجة، فهي إلى الآن غير مستعدة للثقة بنواياه أو بنواياها. لقد انتزع ذلك الاعتراف الذي يريده منها ولكن أمامه الكثير بعد، فهو يريد منها أكثر مما هي مستعدة لإعطائه في الوقت الحاضر.. انه يريد أن يبتلعها، يستهلكها ويمتلكها روحاً وجسداً. نظرت إلى عينيه المصممتين فذعرت مما رأته فيهما من مطالب.. سمعته يقول بعذوبة:

- لن أستسلم قبل أن أحصل عليك بالكامل.

- شكراً للإنذار.

دس ذراعه حولها ثانية ثم مرّر الأخرى يحركها ببطء على



ظهرها إلى أن شهقت وارتجفت ودفعته بعيداً:

- توقف عن هذا!

رد بخشونة:

- أمامك الكثير لتتعلميه وأنا من سأعلمك. هذا ما قلته لك منذ البداية.. ولن أقول لك وداعاً أبداً.. منذ أن وقع بصري عليك عرفت أنك لي.. عرفت أنك التي أنتظرها. اعلمي أنه لن يفرقنا أحد أبداً، ولن أتركك ولو توسلت إلي جاثية لأنني لن أستطيع فقد تجاوزت نقطة التراجع وإن تركتني الآن تركتني نصف حي.

نظرت إلى عينيه الرماديتين اللتين اشتد اسودادهما فعصف قلبها نابضاً وارتجفت أوصالها شوقاً إليه ولكنها قالت:

- لا تستعجل.. لا تدفعني... أمهلني بعض الوقت لأن ما يحدث أعظم من أن أحتمله.

عانقها بجنون، وأرجع ضغطه عليها رأسها إلى الوراء مما جعل عنقها تؤلمها، فأمسكت بكتفيه تسند نفسها، وأعطته الرد بوهن لكن الاستجابة في داخلها كانت تتعاظم مغذية ذلك الجوع العاطفي القديم إلى الحب.

قال بصوت أجش:

- وهذا ما سيحصل.

نظر إليها باكتفاء ورضى، فبادلته نظرته ولم تعد تستطيع إنكار حبها له بعد الآن.. فقد انفتح ثغرها لترفض لكنه بقي مفتوحاً وصامتاً..

ابتسم باول، ابتسامة سريعة وقال مؤكداً على حبه للتملك:

- قولي نعم..

* * *